بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب المجلة
محمد محمود علوان
شيخ مشايخ الطرق الصوفية

رئيس التحرير
محمد صبيح

سكرتير التحرير
طه عبد الباقي سرور

مجلة الإسلام والتصوف

مجلة أسبوعية تصدر شهرية مؤقتا
تصدر عن مشيخة الطرق الصوفية

"ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير
ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
وأولئك هم المفلحون"

الاشتراك
٦٠
في الجمهورية العربية المتحدة
٥
ثمن العدد
العنوان
مشيخة الطرق الصوفية
ميدان السيدة زينب
القاهرة
تليفون ٥١٣٩٣

العددان الاول والثاني ، السنة الخامسة ، لشهري يونية ويوليو ١٩٦٢

حول رأي في الطرق الصوفية

لسماحة السيد محمد محمود علوان
شيخ مشايخ الطرق الصوفية

نشر المصور في عدده الأسبق رأيا للأستاذ صالح جودت هاجم فيه الطرق الصوفية وهو رأي يقول أنه لم يكن يجب أن ينشره على الملأ مخافة ما يثير من جدل فقد أحس الاستاذ الشاعر إحساسا لاشعوريا بأن رأيه يجرح شعورا عاما ويثير عاصفة من الجدل والحوار .

ويستند الاستاذ الأديب فى هجومه على قراءات وقعت بين يديه عن عمد أو عن صدفة

أولها — كلمة فى مجلة الوعى الجديد يقول كاتبها أن التصوف ليس من الاسلام فى شىء وأنه لم يرد فى كتاب ولا سنة وأنه فرق المسلمين طرائق وشراذم!!

وثانيها — باب ورد فى كتاب الجزائر العربية عن الطرق الصوفية فى الجزائر وكيف كان الاستعمار يشترى مشايخ الطرق بالمال ليكونوا ادوات له

وثالثها — انه عرف من كتاب لايزال تحت الطبع عن الحركة الادبية فى الجزائر جناية بعض رجال الطرق الصوفية على الحركة التحريرية فى الجزائر

ورابعها — مادرسه سيادته فى العلوم السياسية من ان الطرق الصوفية كانت عون الاستعمار الاول فى السيطرة على الدول العربية والاسلامية

تلك خلاصة كامله لقراءات الاستاذ صالح جودت التى قراها عن عمد أو عن صدفة فدفعته دفعا الى مهاجمة الطرق الصوفية وجعلته يغادر كما يقول بتعريض نفسه لحملة قاسية مرتقبة من الملايين الذين يتبعون هذه الطرق ومن الأقلام التى تؤمن بها .

وليطمئن الأستاذ صالح جودت فالقسوة والتهجم ليسا من طبيعة أبناء الطرق الصوفية وانما سبيلهم دائما هو الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والكلمة الطيبة المباركة التى تشع النور وتهدى السبيل .

وبهذه الروح نكتب هذه الكلمة اعزازا للحق وتبيانا للناس وهدى للذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

لقد أراد كاتب مقال مجلة الوعى الجديد أن يأتى بكلام جديد على الفكر وعلى الثقافة وعلى التاريخ وما أيسر هذا الجديد وما أهونه مادام لايكلف صاحبه مشقة بحث تاريخى ولاعناء منطق ، لقد أغمض عينيه عن الحقائق العلمية والتاريخية وفى هذه الاغماضة وفى هذا الظلام أصبح من حقه أن ينكر كل شىء فى بساطة وأن يقول فى لهجة أن التصوف ليس من الاسلام فى شىء وأنه لم يرد فى كتاب ولا سنة وأنه فرق المسلمين طرائق وشراذم .

لم يستق كاتب المقال أو لم يرو الأستاذ صالح عنه دليلا واحدا على هذه الدعوة المريضة ، لقد تحدى كاتب المقال التاريخ الاسلامى بأسره وتحدى رجال الفكر الاسلامى عامة وتحدى أئمة الاسلام منذ وجد الاسلام إلى يومنا .

فلم تسمع عن أمام من أئمة الفكر ولا من رواة التاريخ سواء منهم من انتسب إلى [illegible] أو انتسب إلى غيره من كليات الثقافة الاسلامية هذا القول العجيب .

حتى الذين خاصموا التصوف كابن تيمية ومدرسته لم ينكروا الصوف عامة وإنما أنكروا بعض مذاهبه الفلسفية ، ولقد وضع امام ابن تيمية رسالة فى التصوف طبعها المنار ، ربط فيها بين التصوف ومقام الإحسان وجعله علم الأخلاق الاسلامة والأمام ابن القيم تلميذ ابن تيمية الأكبر اشهر كتبه وأخرها هو كتاب مدارج المسالكين الذى شرح فيه منازل السائرين إلى الله وتحدث فيه عن الصوفية باعتبارهم صفوة الأمة الاسلامية وخلاصتها الزكية .

وعلامه التاريخ ابن خلدون يقول عن التصوف : انه كان عاما بين الصحابة والتابعين فلما تفرق الناس وأقبل بعضهم على الدنيا والشهوات اختص المقبلون بأنفسهم على الله باسم الصوفية .

وفلاسفة الاسلام ابن سينا والفارابى وابن طفيل وابن رشد تحدثوا عن التصوف وكتبوا عنه كافق أعلى للفكر الأسلامية وفى اشارات ابن سينا وتصورات الفارابى واخلاقيات ابن طفيل وسلوك ابن رشد النفحات الصوفية والمذاقات الروحية والتربية القلبية .

والأئمة الأربعة أبو حنيفة والشافعى وأحمد ابن حنبل سلكوا السلوك الصوفى وتحلوا بآدابه وتخلقوا باخلاقه حتى ليقول ابن حنبل : من تفقه ولم تتصوف فقد تفسق : ويقول الشافعى استفدت من الصافية فيما استفدت قولهم : أن لم تشغل نفسك بالحق شغلتك بالباطل وقولهم : متلفت لا يصل : وحجة الاسلام

بإجماع الأمة الاسلامية هو الامام الغزالى شيخ الصوفية وإمامهم ولسانهم وقلبهم المبين .

وأعلام عصرنا جمال الدين الأفغانى يصفه تلميذه الإمام محمد عبده بأنه كان صوفيا مثاليا ويتحدث محمد عبده عن نفسه فيقول : إنه تربى تربية صوفية خالصة هى سر إقباله على العلم وعلى الجهاد .

ومحرر الأمة العربية وبطلها الكبير الرئيس جمال عبد الناصر يصف القوى الروحية بأنها القوى الخلاقة البناءه التى تساعد كل حركة ايجابية هادفة فى كل ميدان من ميادين الحياة ، ويقول المستشرق نيكلسون : أن عظماء الأمة الاسلامية امتازوا جميعا بتجلى الروح الصوفى فى حياتهم :

أما الدعوى الأخرى القائلة بأن الطرق الصوفية قد ساندت الاستعمار فى الجزائر وفى غيرها من البلاد العربية والاسلامية فحسبى أن أشير إشارات عابرة إلى جهاد الطرق الصوفية فى نشر الاسلام فى ارجاء الكوكب الأرضى ووقوفها صامدة شامخة فى وجه الاستعمار تدافعه وتجالده وتطارده وتساند القوى الوطنية وتدعمها وتمدها بالحماس الدينى والروحى المثالى وتحفظ للشعوب العربية والاسلامية ملهمات شخصيتها ومقومات اخلاقها ومواريث دينها .

فالطرق الصوفية بشهادة التاريخ بأقلام كتاب الشرق والغرب وبدراسات دوائر المعارف العالمية هى التى فتحت أندونسيا بأسرها للاسلام فكسبت بذلك تسعين مليونا للفكرة الاسلامية وهى التى نشرت الاسلام ودعمته فى الهند وباكستان والصين والفلبين وجزر المحيط الهادى كافة .

وهى وحدها التى حملت عبء الدعوة الاسلامية فى القارة الأفريقية ، وهى وحدها التى صمدت فى وجه قوى التبشير العالمية حتى ليقول الكاتب الانجليزى سير رونالد أنه فى مقابل كل رجل وثنى ظفرت به أرساليات التبشير العالمية ظفرت الطرق الصوفية بعشرة أمثاله .

والكتب الحديثة التى كتبت عن أفريقيا السوداء فى عصر النهضة الوطنية

تموج صفحاتها موجا بجهاد الطرق الصوفية وأثرها الضخم فى نشر الاسلام ومقاومه الاستعمار ، وكنماذج لهذه الكتب أذكر كتاب «السودان الشمالى» للدكتور محمد عوض محمد و«أفريقيا وراء الصحراء» للأستاذ صلاح صبرى والاستعمار الأوربى فى أفريقيا للدكتور زاهر رياض والديانات فى أفريقيا السوداء لهوبير ديشان والاسلام فى القرن العشرين للأستاذ عباس العقاد .

وليس من منطق البحث العلمى القول بأن رجال الطرق الصوفية الذين ينشرون فى كل بقعة يذكر فيها اسم الله والذين يشكلون قطاعا ضخما فى كل بلد إسلامى ليس من منطق البحث العلمى القول بأنهم جميعاً نماذج صالحة لم يدن منها سوء ولم يمسها انحراف .

لقد حطمت عصور الرجعية الكثير من شوامخ الأمة الاسلامية واطفأت الكثير من مصابيحها ونالت من روحها ومثلها فوجد الانحراف والتحلل والضعف النفسى والخلقى ووجد من باع نفسه للشيطان أو للاستعمار .

والطرق الصوفية بضعة من الأمة الأسلامية والجزء يصيبه ما يصيب الكل ومن هنا كانت تلك الحوادث الفردية التى رأينا فيها بعض من خانوا الأمانة العليا ممن ينتسبون إلى التصوف أو يدعون الانتساب إليه ، كما رأينا هذا الضعف أو هذه الخيانة فى أفراد من شتى البيئات ومن شتى الثقافات ومن شتى القطاعات وليس معنى أن بعض الفقهاء أو بعض الجنود أو بعض القضاة قد خانوا أما نتهم أن نمحو الفقه وأن نحطم الجيوش وأن نلغى القضاء .

وأن العضو الفاسد يوجد فى كل بيئة وفى كل مكان والفاسد يبتر ولكن لاتزر وازرة وزر أخرى وان نلغى الاسلام لأن بعض المسلمين قد انحرفوا أو ضلوا أو خانوا .

وليس من منطق البحث العلمى ولا من أمانة القلم أن نأخذ الملايين من الصوفية الذين قادوا الفكر الأسلامى وتمثلت فيهم روحانية الاسلام ومثله بوزر فرد أو أفراد من الأدعياء الجهلاء .

ونحن نطالب ومن الأقلام التى نحبها كقلم الأستاذ صالح جودت بالإنصاف العلمى والتحرى للحقائق وضبط النفس عند معالجة القضايا الكبرى التى تمس شعور الملايين ووجدانهم وعقائدهم ونحن فى عهد بناء وإيجابية ثورية وتكتيل للقوى المؤمنة الصالحة وما أجمل أن تكون كل كلمة تخطها الأقلام جسراً إلى النور فى هذا العهد الذى يزحف إلى النور .

والله سبحانه ولى التوفيق

من مناجاة

زين العابدين

« . . . اللهم لك قلبى ولسانى ، وبك نجاتى وأمانى ، وانت العالم بسرى وإعلانى ، فأمت قلبى عن البغضاء ، وأصمت لسانى عن الفحشاء ، واخلص سريرتى وعلانيتى من علائق الأهواء ، واكفنى بامانك عواقب الضراء واجعل سرى معقودا على مراقبتك ، وإعلانى موافقا لطاعتيك ، وهب لى جسما روحانيا ، وقلبا سماويا ، وهمة متصلة بك ، ويقينا صادقا فى حبك »

الشبلي

للاستاذ طه عبد الباقي سرور

قال له صاحبه وهو يحذره :

إنك فى الذروة العليا من قومك جاها ومالا ومكانة وحسبا ، ولقد حباك حظ ماظفر به سواك ، فأنت حاجب أمير المؤمنين الخليفة الموفق ، وهى مكانة مرموقة لاتعلوها مكانة فى الدولة ، وأبوك حاجب الحجاب ، وحامل الأختام ، وأسرتك إليها قيادة الخيل وألوية الحرب ، وأنت مع هذا وذاك فى رونق شبابك ، وزهرة عمرك ، وفجر آمالك ، فكيف سعى هذا الأمر إلى قلبك ؟ وكيف انبثقت فى دنياك تلك الخيالات التى صرفتك عن أملك ومجدك ! وإنى لأخشى إذا طال أمرك أن يقصيك الخليفة عن عمالك .

ورفع الشبلى رأسه ، فاذا جبين وضاء ، ووجه مشرق بسام ، وطلعة فيها كبرياء عنصره التركى وعزة أسرته ذات المجد الحربى .

وقال لصاحبه وهو يربت على كتفه . لقد حدثتنى حديث الدنيا ، ولكن فى أعماقى كلمات تناجينى وتناغينى وتوسوس لى بحديث عذب حلو عن عالم آخر جميل أروع مايكون الجمال ، بهى أسمى مايكون البهاء .

عالم فيه أنوار وأسرار ، ومايتذوقه الحس ، وتهنأ به النفس ، ويعجز عن تجليته البيان والبرهان .

عالم لاأبالى وأنا أطرق أبوابه بخليفتك الذى تبددنى به وتتندرنى ، بل تذكرنى بعملى الذى أتولاه ، وقدرته على تنجيتى عنه .

ألا فلتعلم ياصاحبي أنني تاركه له ، لأتولى عملا آخر أعظم وأكبر وأخلد وأبقى ، لقد شاهدت نورا يلتمع على أبواب سبل صاعدة سامقة ، وأنني لمنطلق في إثره ، علني أظفر به .

ونظر إليه محدثه ثم أعاد البصر كرة وكرة ، لقد أذهله بل صعقه أن يسمع أن هناك من تحدثه نفسه بالاعراض عن أكبر مناصب الدولة ، وأعلى مقاعدها ، طائعا مختارا .

وقطع الشبلي عليه ، دهشته قائلا : سأحدثك بأمري ، ولك أن تظن بي بعد ذلك ماتشاء فقد اعتزمت امرا لايحول بيني وبينه غضب الخليفة أو عتب الاصدقاء .

لقد عدت من الصيد مع الخليفة ذات يوم متعبا مكدودا فلجأت إلى قصري أنشد الراحة بعد يوم حافل باللهو والمطاردة ، واستسلمت إلى نوم عميق ، ثم استيقظت فجأة ، فاذا بانوار القصر كلها مطفأة ، وثقل الظلام على صدري ، وانقبضت نفسي ، فانطلقت أصيح باعلى صوتي ، منذرا متوعدا خدم القصر ودبت حركة ضخمة محمومة في أرجاء القصر ، وأشعلت الشموع ، وأضيئت قناديل الزيت ، واملأت كل زوايا الردهات بالأضواء

ولكنني لم أر نورا ، لقد أحسست بان الظلام أشد كثافة وقتامة مما كان ، فاخذت أصيح في لهفة راعدة : نورا . نورا .

وعدت الى حجرتي مذهولا محموما . فغبابي فراشي ، وطار النوم من أجفاني ، لقد أزعجني الظلام وأخافتني القتامة التي لم تبددها الأنوار .

ولم أتم ليلتي حتى انبلج الفجر . فغادرت مضجعي ، وأخذت أجول بين أرجاء القصر بلاهدف ولاغاية ، فأخذ مسمعي صوت جميل خاشع يناجي فاطر السموات والأرضين بلحن منغم كانت آخر كلماته .

اللهم اجعل في قلبي نوراً ، وفي روحي نوراً ، وفي عقلي نوراً وهب لي نوراً من لدنك يملأ حياتي نوراً ، يانور كل شيء ، يارب العالمين :

واقتحمت الغرفة التي ينبعث منها هذا اللحن المنير ، فإذا أحد قراء القصر ساجدا تتدفق الأنوار حوله .

وانتبه الرجل الساجد إلى ، فرفع رأسه وقال فى صوت عزيز قوى ، لك يا سيدى نهارى ، أما ليلى فهو لربى ، فكيف تتهجم على خلوتى ، انصرف غير مأمور ولا مطرود .

فصغرت نفسى وتضاءلت ، ثم صغرت وتضاءلت ، بينما كبر فى ناظرى هذا الرجل الساجد السابح فى النور .

وانبثق فى قلبى شعاع قدسى ملهم ، فعلمت سر الظلمة التى أحاطت بى ولم يبددها النور المضاء ، عرفت بغتة أننى فى حاجة إلى النور الداخلى . نور القلب والروح والايمان ، النور الذى اشرقت به السموات والأرضين ، وأصلح عليه أمر الدنيا والدين .

وعدت إلى حجرتى ، وقد رفرفت فى قلبى معان جديدة لها أنغام وأصداء ، وامتلأ الوجود حولى بانشودة جميلة عذبة حلوة .

: اللهم اجعل فى قلبى نوراً .

: وفى روحى نوراً .

: وفى عقلى نوراً .

: يا نور السموات والأرضين .

وكيف أناشده وفى النور ، وأنا أعيش فى الظلمات التى يعيش فيها الخليفة وبطانة الخليفة ، وأمرأة الخليفة ، واعتزمت أمراً :

إننى هارب من الإمارة بجاهها وظلماتها ، أنشد النور ، نور الروح والقلب والعقل والنور الذى لا يعرف صاحبه الشقاء ، لأنه نور الهدى والإيمان ، النور الذى يصل الإنسان برب الإنسان .

لقد نظر الشبلى إلى ماضيه فرآه فارغا ضائعاً تجلله الظلمات ، وتأخذ بمقوده الشهوات ! !

لقد عاش فجر شبابه كما يعيش لداته من أرباب الجاه والثراء ، منطلقاً فى عنان الدنيا لا يبالى إلا بلذة يقتنصها ، أو بصيد يطارده ، ردو بين هذا وذاك يسهم فى دسائس الحاشية ، ويحرق روحه بخوراً . وزلفى لدى سيد القصر ، وخليفة العصر الذى ترفع أصابعه وتخفض القطيع الذى يحيط به .

ولقد ظفر من دنياه بكل ما تشتهيه النفوس الترابية ، من منصب فخم ضخم وثراء عريض ، وجاه رفيع ، وأمل محدود . ولكن ماوراء كل هذا ! ؟

أيعيش الانسان حياة الحيوان يرتع فى مطعمه ومشربه ، ويزهو فى أرديته وكسائه ويتناطح ويتصادم مع أقرانه ولداته ، ثم تغرب الحياة ، ويفنى كل شىء ، وينطفىء السراج .

لئن كانت حياتنا الدنيا هى كل وجودنا ، لكانت حياة تافهة بالغة التفاهة ، تبرق لحظات ، ثم تذوى وتذبل وتفنى ، كما يفنى الضباب تحت سياط الرياح ، أو أشعة الصباح :

لقد خلق الإنسان ليبقى ، ليخلد ، ليكون فى دنياه جديراً بمولاه ، الذى طهره وزكاه ، وصاغه بيديه . ليكون خليفة على الحياة ، ورمزا لأسمى الاشراقات ، وأبهى التجليات ، وأكمل المخلوقات .

وان يكون الإنسان إنسانا إذا انفصل ما بينه وبين موجده ومبدعه جل جلاله .

إننا نملك مفاتيح السعادة ، كما نملك مفاتيح الخلود ، وإن لمسة من يدنا لتلك المفاتيح لتدفع بنا سراعا إلى الساحة الطهور الزكية ، حيث الرضا والاطمئنان والسلام ، حيث نعرف الله ونلوذ بجاه ، ونستعين بقواه ، فنعبده مهللين مسبحين مكبرين ، فإذا بكل قوى الأرض مسخرة مذللة مأمورة ، وإذا بكل الخيرات هابطة متلاحقة متتابعة .

يومئذ يتذكر الإنسان رسالته ، ويعرف غايته ، ويحدد هدفه ، ويتذوق السر المضمر فى قوله تعالى « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » .

ولقد اهتدى الشبلى إلى مفاتيح السعادة والخلود ، هداه النور الذى يرسله الله لمن يشاء من عباده ويصطفى ، فأطبق بيديه عليها وأدارها بكل ما فى وجوده من قوة وعزم . فاذا به فى الساحة الكبرى مع الأئمة العارفين المهتدين .

وكان أول عمل له كما يقول صاحب تاريخ بغداد : أنه ذهب إلى مقاطعة — دماوند — فيما وراء النهر ، وكان الخليفه قد أقطعها له لمعاشه ، فقال لأهلها :

« لقد كنت صاحب أمركم ، ومالك أرضكم ، فاجعلونى فى حل من الماضى ، وقد وهبتكم الأرض وما عليها ، فأنتم أولى بها منى ، فتقاسموها بينكم بالعدل . وادعوا الله لى أن يهدينى بنوره إلى صراطه المستقيم » .

وانطلق الشبلى هاربا من أعلى مناصب الدولة بزينتها وجاهها . إلى أول درجات السالكين . ومصاحبة العارفين .

قال صاحب التبر المسبوك :

« جاء الشبلى إلى الجنيد أول سلوكه الطريق فقال له : لقد حدثونى عنك أن عندك جوهرة العلم الربانى الذى لا يضل صاحبه ولا يشقى : فإما أن تمنح ، وإما أن تبيع . فقال الجنيد : لا أستطيع أن أبيعها لك فما عندك ثمنها ، وإن منحتها لك أخذتها رخيصة فلا تعرف قدرها .

ولكن وقد رزقت هذا العزم . فهو علامة الإذن . وبشير التوفيق . فالق بنفسك غير هياب فى عباب هذا المحيط مثلما فعلت أنا . ولعلك إن صبرت وصاحبك التوفيق أن تظفر بها .

واعلم أن طريقنا طريق المجاهدين الآخذين بقوله تعالى « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » فاجعل هذه الآية نصب عينك فهى معراجك إلى ما تريد . »

وألقى الشبلى بنفسه غير هياب ولا متردد فى عباب المحيط الصوفى جاهد النفسه مطهرا لقلبه مزكيا لروحه ، مستشرفا ومستهدفا ومتطلعاً إلى النور الخالد . النور الذى أشرقت به السموات والأرضين .

فكان كما يقول الشعراني « نسيج وحده جهادا وتزكية وطهرا وتوجها إلى الله » .

يقول السلمي : « كانت مجاهداته في البداية فوق الحد وفوق ما عرفنا عن السالكين جميعاً .

ويقول الجنيد : « لكل قوم تاج . وتاج قومنا الشبلي . لقد أضاء بمجاهداته تاريخنا » .

وجهاد الشبلي في الطريق الصاعد . يقدم زادا ونبراسا ومنهاجا لكل صوفي يتطلع إلى الأفق الأعلى .

لقد تجرد من كل ما تملك يداه . من متاع الحياة . وترك مجدا تتلألأ أنواره . وأقبل على مجالس العابدين يملأ آفاقهم وجدا وحباً وأنساً حتى لقب بريحانة المؤمنين .

رساله التصوف

يقول الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي :

« . . . وكما حفظ علماء الظاهر حدود الشريعة كذلك يحفظ علماء التصوف آدابها وروحها ، وكما أبيح لعلماء الظاهر الاجتهاد في استنباط الأدلة ، واستخراج الحدود والفروع ، والحكم بالتحليل والتحريم على مالم يرد فيه نص ، وترك أمره للاجتهاد والاستنباط

فكذلك للعارفين أن يستنبطوا آدابا وأخلاقا ونهجا للمريدين والعابدين . . . »

المعرفة الصوفية والحب الإلهي

للدكتور محمد مصطفى حلمى
أستاذ الفلسفة والتصوف بجامعة القاهرة

يلاحظ المتأمل فى تاريخ التصوف الاسلامى بصفة عامة ، والمتفحص حقائق الحب الإلهى ودقائقه بصفة خاصة ، أن الصوفية المسلمين المحققين المختحققين ، إنما كانوا عارفين بالله بقدر ما كانوا محبين له . أو أنهم محبون لله بقدر ماهم عارفون به . وهذا راجع إلى أن موضوع المعرفة وأدانها وغايتها هى هى بعينها عندهم موضوع الحب وأدائه وغايته . ويتبين هذا وضوح وجلاء إذا تدبرنا كلا من التعريفات التى يحدد بها الصوفيه معنى كل من المعرفه والحب : فنحن حين نقرأ تعريفات المعرفة وتعريفات الحب ، يخيل إلينا أننا إزاء لغتين تترجم إحداهما ما تعبر عنه الأخرى : فالعارف الذى يتحدث عن معرفته ، إنما يتحدث عن الحب ولكن فى لغة المعرفه . كما أن المحب الذى يتحدث عن حبه ، إنما يتحدث عن المعرفة ولكن فى لغة الحب . وآية هذا ما يحدثنا به حجة الاسلام أبو حامد الغزالى فى كتابه (احياء علوم الدين) من أن المعرفة عنده هى معرفة الحضرة الربوبية المحيطة بكل الموجودات : إذ ليس فى الوجود شىء سوى الله تعالى وأفعاله ، والكون كله من أفعاله ، وأن مايتخال للقلب من المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه . وصفاته الباقيات وأفعاله وحكمه فى خلق الدنيا والاخرة ، هو الجنة بعينها عند قوم . وسبب استحقاق الجنة عند أهل الحق . وأنه على قدر ماتتسع معرفة الانسان بذلك كله . تكون سعة نصيبه من الجنة . وما يحدثنا به الغزالى أيضا فى موضع آخر من الكتاب نفسه ، إذ يقول : إن من أحب غير الله لا من حيث نسبته الى الله . فذلك لجهله

وتصوره فى معرفة الله تعالى ، وإنه لا محبوب بالحقيقة عند ذوى البصائر الله إلا تعالى ، ولا مستحق للمحبة سواه :

ولعلنا لو أردنا ان نظهر تطابق المعرفة والحب بمعناهما الالهى ، لما وجدنا خيراً من تعريف القشيرى للمعرفة تعريفا مستفيضا يكاد كل لفظ من ألفاظه ينطق بأنه تعريف للمحبة كذلك : « فالمعرفة - كما يقول القشيرى - هى صفة من عرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته ، ثم صدق الله تعالى فى معاملاته ، ثم تنقى عن أخلاقه الرديئه وآفاته ، ثم طال بالباب وقوفه ، ودام بالقلب اعتكافه . فخلى من الله تعالى بجميل إقباله ، وصدق الله تعالى فى جميع أحواله : وانقطع عنه هواجس نفسه ، ولم يصغ بقلبه إلى خاطر يدعوه إلى غيره . فإذا صار من الخلق أجنبيا : ومن آفات نفسه بريا ، ومن المساكنات والملاحظة نقياً ودام فى السر مع الله تعالى مناجاته ؛ وحق فى كل لحظه إليه رجوعه . وصار محدثا من قبل الحق سبحانه بتعريف أسراره : فيما يجريه من تصاريف أقداره . يسمى عند ذلك عارفا . وتسمى حالته معرفه . . . . وأى شىء أيسر من أن تستبدل لفظة ، المعرفة . بلفظة المحبة . ولفظة عرف بلفظة . أحب . ولفظة . عارفا بلفظة : محبا . وأن تقرأ تعريف القشيرى بعد ذلك . لتجد أنه سيستقيم لك استقامة لا عوج فيها ولا التواء بحيث ترى أنه تعريف للمحبة ووصف لحال المحب . بقدر ما هو تعريف المعرفة ووصف لحال العارف .

وإذا كان ذلك كذلك . فما عسى أن يكون موقف العارفين بالله والمحبين له من الحقيقة التى اتخذ منها أولئك موضوع معرفتهم : واتخذ منها هؤلاء موضوع حبهم ؟

الحق أن للحقيقة العلية ذاتاً واحدة مطلقة لا تكثر فيها ولا تعين . كما أن لها أسماء وصفات وأفعالا متكثرة تتجلى بها أو تتخلى فيها الذات الواحدة المطلقة . والمجالى التى هى من تجليات الذات بمثابة المرائى . هى الموجودات التى تملأ أرجاء الكون . والتى يفيض عليها وجودها مفيض الوجود على الكون وهذا يعنى بعبارة

أخرى أن الله من حيث حقيقته واحد فى الذات والاسماء والصفات والافعال: وأن ماينسب اليه أو يحمل عليه من ذات واسم أو صفة أو فعل. فإنما هى سبيل المجاز ذلك بأن كل أولئك هو فى الحقيقة (وعلى حد تعبير الصوفية أنفسهم) عكوس أنوار تجليات الذات والصفات الازلية والأسماء والأفعال فى مظاهر الكون: ومن هنا كان تفاوت مراتب الموجودات. واختلاف درجات المعرفة التى تتخذ موضعها من هذه الموجودات: وكان تباين طبقات العارفين بحسب هذا الاختلاف وذلك التفاوت: فيستدل بفعله على صفته. وبصفته على اسمه وباسمه على ذاته. ومنهم من يعرف الله عن طريق العيان. فيشهد الذات الالهية شهودا مباشرا. ويعرف بالذات الالهية اسماءها وصفاتها وأفعالها وليس من شك أن أرقى العارفين هو العارف الذى يشهد الذات الالهية شهودا عينياً. يؤدى إلى التحقق بالمعرفة اليقينية. وإلى تحقيق السعادة الحقيقية.

ومثل هذا يمكن أن يقال فى حب الانسان لله. فنحن إذا وقفنا عند صفة من صفات الذات الالهية: ولكن صفة الجمال. اليفنا الجمال الحقيقى عند متصوفية صفة أزلية لله عز وجل بمعنى أن الجميل الحقيقى هو الله. وأن كل ماهو حسن فى الكون من مخلوقات. فهو مظهر مفيد. ومجلى مبين. من مظاهر الجمال الالهى المطلق ومحاليه وإذا كان الصوفية يرون أن الله خلق الإنسان على صورته. وأن الله جميل وجماله حقيقى مطلق. فقد خلق الانسان جميلا. ولكن جماله حسن مقيد بالقياس إلى الجمال الالهى المطلق. وأودع الله فى فطرته. الاقبال على الجميل. والانجذاب الى كل ماهو جميل. سواء ما كان من هذا الجميل ذاتا إلهية مطلقة. وتجليات إلهية مقيدة بأسمائها وصفاتها وافعالها فى مظاهر الكون: وهذا الانجذاب إلى الجميل فى ذاته أو فى تجلياته هو مايعرف باسم الحب

ولما كان الجمال الإلهى. وهو من أخص صفات الذات الإلهية. وتجلياتها. متفاوتاً بتفاوت إطلاق الذات وتعين التجليات. فقد ترتب على هذا أن يكون للحب الالهى مراتب تتبين القيمة الروحية لكل منها من خلال ترتيبها على الوجه

التالى : ـ حب يظهر من معاينة الحس جمال الأفعال الالهية فى عالم الشهادة ، وهذا هو الحب الأعم . وحب يظهر من ملاحظة النفس جمال الأفعال الالهية فى عالم الغيب : وهذا هو الحب العام : وحب يظهر من مطالعة القلب جمال الصفات الالهية فى عالم الملكوت : وهذا هو الحب الخاص . وحب يظهر من مشاهدة الروح جمال الذات الالهية فى عالم الجبروت : وهذا هو الحب الأخص : فها هنا ثلاثة محبين بعضهم فوق بعض درجات وينعت حب كل منهم بأنه الهى ، وإن تفاوتت حظوظهم من الانجذاب إلى الجمال الالهى المطلق . أو إلى الحسن الكونى المعين : محب الأفعال الالهية : وهو أدنى المحبين . ومحب الصفات الالهية . وهو أوسطهم ، ومحب الذات الالهية وهو أعلاهم : وليس من شك فى أن محب الذات الالهية هو أعلى هؤلاء المحبين جميعا : لأن جمال الذات الالهية الذى يقبل عليه وينجذب إليه ويقف عنده حقيق أزلا . ثابت دائما : مطلق أبداً : على حين أن الأمر فى جمال الصفات والأفعال : ليس كذلك على كل حال : ومن هنا نظر الصوفية المسلمون إلى الجمال الالهى المطلق : على أنه حال روحية شريفة لا يذوقها ولا يتحقق بها الا من راض نفسه رياضة روحية وجاهد حسه مجاهدة قوية : بحيث يرتفع الانسان عن نفسه رويدا رويدا . ويسمو بحسه شيئاً فشيئا : وما يزال كذلك بين مجاهدة ورياضة حتى يقطع نفسه عن نفسها : ويقطع كل سبب بينها وبين غيرها . فاذا هى لا تحس شيئا ولا تنجذب إلى شىء : ولا تقبل على شىء : ولا تميز بين شىء وشىء : وذلك بانها قد أشتغلت بشىء واحد : وانجذبت إلى شىء واحد وأقبلت على شىء واحد . وذلك الشىء الواحد هو الذات الالهية ذات الجمال المطلق الذى انطوى فيه وفاض منه كل ما فى الكون من آيات الحسن المقيد الذى يتمثل فى هذا الصورة الجميلة المعينة أو تلك . ومن هنا أيضا رأى الصوفية المسلمون أن المعرفة اليقينية التى لا يأتيها الشك من بين يديها ولا من خلفها . وأن السعادة الحقيقية التى لا تعادلها سعادة أخرى إنما تكون إحداهما وكلتاهما فى أن ننصرف عن الحسن المعين الى الجمال المطلق . وأن

تتسامى بكل مالدينا من جوارح ظاهرة وجوانح باطنه عن عالم الحس وما فيه من مظاهر زائلة وزخارف حائله ، إلى عالم الروح بما فيه من حقائق ثابته ولطائف باقية . وهناك فى عالم الروح العلوى تحيا الروح حياتها الخليقة بها فى ظل ظليل من الجمال الالهى المطلق الذى لم تعد تشهد سواه أو تتجذب إلى ماعداه .

ولقد أستغرق الشعور بالانجذاب إلى جمال الذات الالهية المطلق نفوس بعض الصوفية من المحبين . استغراقا يكاد أن يكون تاما بحيث لم يغادر معنى من المعانى الا ألم به ، ولا مجلى من المجالى الا تمثل فيه . وليس أروع ولا أمتع من هذا التصوير الذى صور به ابن الفارض استغراق الجمال المطلق بنفسه استغراقا جعله يشهد محبوبه الحقيقى فى كل معنى من المعانى فى كل مظهر من المظاهر وذلك على الوجه الذى نتبينه من قوله .

تراه إن غاب عنى كل جارحه
فى كل معنى لطيف رائق بهج
فى نغمة العود والناى الرخيم اذا
تالفا بين ألحان من الهزج
وفى مسارح غزلان الخمائل فى
برد الأصائل والاصباح فى البلج
وفى مساقط أنداء الغمام على
بساط نور من الأزهار منتسج
وفى مساحب اذيال النسيم اذا
أهدى الى سحيرا أطيب الأرج
وفى التثامى ثغر الكأس مرتشفا
ريق المدامة فى مستنزه فرج

وليس من شك فى أن ابن الفارض ما كان ليصل الى هذه الحال من استغراق الجمال المطلق لنفسه . ومن مشاهدة هذا الجمال المطلق فى كل مظهر من مظاهر الطبيعة

التى صورها أبدع تصوير فى ابياته هذه . ولولا انه نقلب بحسه ونفسه وقلبه وروحه فى أطوار الحب الالهى ، فاستوعبها أو استوعبته هى طورا بعد طور حتى انتهى فى آخر هذه الأطوار أسماها الى أن لم يصبح محبا لصورة دون صورة . ولا مقبلا على مظهر دون مظهر . ولا منجذبا الى مجلى دون مجلى ، بل هو قد أصبح محبا للجمال فى كل صورة ومظاهره ومجاليه ، دلك بأنه قد رقت منه الروح بحيث أصبحت قادرة على مشاهدة الجمال الذى هو سنة من خصائص الكائنات المقيدة . إذ أن حسن كل شىء ليس فى الحقيقة عند ابن الفارض الا معنى جزئيا من معانى الجمال الكلى . أو هو على حد تعبير الشاعر الصوفى نفسه معادلة مع ذلك الجمال الالهى المطلق .

من الحان الحلاج

الله يعلم ما فى النفس جارحة ... الا وذكرك فيها نيل ما فيها
ولا تنفست الا كنت فى نفسى ... تجرى بك الروح منى فى مجاريها
إن كانت العين مذ فارقتها نظرت ... إلى سواك فخانتها مآقيها
او كانت النفس بعد البعد آلفة ... خلفا سواك فلا نالت امانيها

الآيات الموجهة في القرآن

لفضيلة الأستاذ محمد المدني
عميد كلية الشريعة

القرآن الكريم كتاب هداية وتوجيه إلى الصراط المستقيم . أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض . والذي وضع السنن والنواميس لهذا العالم . ما نعرفه منه وما لم نزل نجهله . والذي خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه وهو أقرب إليه من حبل الوريد .

والقرآن في عظمته . كالكون في عظمته : كلاهما آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ، فكل من فكر في الكون ممن أوتوا العلم تجلت له عظمة هذا الكون وزاد علمه بقوانينه المطردة الثابتة الدالة على قدرة مبدعه . ومازال الذين أوتوا العلم يصلون كل يوم إلى جديد منه يملأ القلوب إيمانا . ويضرب في وجوه الملحدين وأقفيتهم : حتى لقد أصبح الإلحاد في عصرنا الحاضر ضربا من هوس الجهلاء ما نظن أن عاقلا يرضاه لنفسه . ولقد يأتي على الناس يوم يقال فيه : كان الناس قديما يلحدون ويشكون في وجود إله قادر حكيم عليم ـ فيكون هذا القول عجباً كما نخبر نحن الآن عن أعاجيب معتقدات أهل الجاهلية الأولى .

والقرآن الكريم ـ في بابه أيضاً ، وفي غرضه الذي يرمي إليه ـ له مثل هذه العظمة الكونية ، ومثل هذه الدلالة على قدرة الله ، وعلم الله ، ورحمة الله الله ، فكل من فكر فيه وتأمله ودرس نواحيه ، تجلت له عظمته . وتكشفت له بعض أسراره . ولأمر ما حفظه الله من الضياع والتحريف والتبديل وضمن له البقاء والخلود . فهو صنو هذا الكون في عظمته ،

وهو نظير فى دلالته ، وهو قرينه الذى يبقى معه أبد الدهر ، وإن حاول بعض المساكين من الكارهين والحاقدين أن يزيلوه أو يحرفوه أو يصرفوا عنه أو يشككوا فيه ، وإنما هو نور الله وبرهانه : « يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً » « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

وإنى لأعتقد أنه سيأتى على الناس يوم يقولون فيه : لقد كان بعض من قبلنا ، يشكون فى القرآن ، ويعرضون عن هدى القرآن ، ويتخذون هذا القرآن مهجوراً ، فيعجب السامعون من هذا القول ، كما نعجب نحن الآن ممن كانوا ينكرون « كروية الأرض » .

ولقد وصف الله تعالى كتابه فى جملة منه مؤلفة من سبع كلمات ، ولكنها جامعة كافية شافية ، تلك هى قوله تعالى : « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » .

ومن مظاهر تلك الهداية التى هى أقوم ما تراه فيه من آياته لها قوة توجيهية دافعة ، تحسب كل آية منها فى بابها وغرضها الذى سيقت له ـ وكل جملة من ايه ـ قانوناً لا يحتاج معه إلى قانون ، ودستوراً ثابتاً لا يمكن أن يدركه البطلان أو التعديل ، كأنه ناموس من نواميس هذا الكون .

ولما كنا بصدد البحث فى سورة النساء وكانت هذه السورة غنية بهذه الآيات التوجيهية القوية التى ترمى إلى طبع المجتمع بطابع معين من الأخلاق والسلوك وقواعد التعامل ، فإننا نجعل من آياتها موضوعات ، ومثلا لهذا اللون من التوجيه القرآنى ، فنحقق بذلك غرضين : غرض الدرس لناحية من السورة ، وغرض التمثيل لهذه الظاهرة القرآنية :

* * *

وقد أحصينا الآيات التوجيهية فى هذه السورة فوجدناها تزيد على الستين وذلك غير الآيات التى سنتحدث عنها فى غير هذا الصدد ، يراد به بعث الأمل والاطمئنان النفسى فى أفراد المجتمع .

وتشترك هذه الآيات كلها فى أن لها رسالة فى المجتمع واحدة ، وفى أن لها أسلوباً معيناً من شأنه أن يؤثر تأثيراً قوياً ، متجدداً ، منطبقاً على آلاف الحالات فى كل مجتمع .

فأما الرسالة الواحدة المشتركة بين هذه الآيات ، فهى وضع دوائر ومناهج كلية يرجع إليها الناس فى أهم النواحى التى يدور حولها نشاط المجتمع وإن شئت فقل : إن هذه الآيات بمثابة « منارات » تنبعث منها أضواء كاشفة متجددة ، متحركة تهدى كل من توجه إليها .

وأما أسلوبها الواحد المعين ، فهو أنها أخرجت كلها مخرج الأمثال التى تعتمد اللفظ الوجيز والمعنى الوسيع ، والصلاحية للانطباق على كثير من الصور .

* * *

ونورد هنا بعض هذه الآيات مرتبة بحسب ورودها فى سورة النساء ، مشفوعاً كل منها بما يبين غايتها وأهميتها التوجيهية فى المجتمع :

(١) « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيبا — ١ »

هذا هو ختام الآية الأولى من السورة ، وقد سبق بتقرير مبدأ « المساواة » المترتب على أن الناس جميعاً ناشئون من أب واحد ، وأم واحدة ، ولهم رب واحد ، والناحية التوجيهية فى هذا الختام ذات شعبتين :

إحداهما : راجعة إلى العقل ، وهى الأمر بتقوى الله الذى خلق الناس والذى هو ربهم ، أى مربيهم بفضله ونعمه ، والذى له بحكم الفطرة فى نفوس خلقه كل مهابة وإجلال ، حتى إنهم ليتساءلون به ، أى يسأل بعضهم بعضاً باسمه جل شأنه ، فالعقل السليم ، والتفكير المستقيم ، يؤديان إلى هذه التقوى ، ويحملان الإنسان على التمسك بها .

والشعبة الأخرى : راجعة إلى العاطفة . فان الإنسان إذا عرف أن بينه وبين إخوانه فى الإنسانية رحما ، وأن هذه الرحم تناديه أن يصلها، ويعرف لها حقها ، وأنه أيضاً كثيراً ما يسأل إخوانه بها ، ويناشدهم حقها ، فان عاطفته تتحرك وتشب ، فتكون الرحمة ، ويكون الحنان ، ويكون التعاون .

فالله - جلت حكمته - لا يكتفى بأن يقيم المجتمع على مبدأ المساواة ، فان المساواة لا تستلزم المراقبة ، ولا تستلزم الرفق والحنان ، ولكنه سبحانه يوجه إلى أن يكون لهذه المساواة جناحان من مراقبة الله ، ومن عاطفة الرحم ، فالأول يحول بين المتساويين وأن يظلم أحدهما الآخر ، والثانى يحث كلا منهما على معاملة الآخر بما هو إحسان وفضل يناسبان الأخوة والرحم .

وبهذه الثلاثة : القلب (وهو المساواة) والجناحان (وهما التقوى والرحم) يشق المجتمع طريقه فى الحياة قويا عادلا متعاونا متراحما .

ثم إن التعبير بكلمة « الأحام » مجموعة هكذا ، قد يساعد على أن تتوسع فى المعنى المراد منها . فان المجتمع ذو شائج ، ليست فقط من الرحم المادية) رحم الأمهات والآباء ، ولكنها أيضاً من الصلات التى تفرضها ظروف الحياة ، وتدعو إليها طبيعة الإنسان باعتباره مخلوقا اجتماعيا مدنيا ، لا يستطيع أن يعيش وحده ، ولا يمكنه أن يستغنى عن سنخه .

وهنا تتسع دائرة الأرحام ، فالزملاء فى علم بينهم رحم من هذه الزمالة يجب أن ترعى ، ويعرف لها حقها ، والزملاء فى صناعة كذلك وفى وطن كذلك . وفى جوار كذلك ، وهكذا تتعدد الأرحام بتعدد الصلات والزمالات ، فتتكون منها روابط عاطفية من شأنها أن تيسر أمر المجتمع ، وأن تشيع فيه الرفق والإحسان والبر ، وأن تنفى عنه العسر والحرج والأثرة .

وكل هذا فى ظل رقابة الله التى توحى الآية بما يجب على المؤمنين من استشعارها دائما « إن الله كان عليكم رقيبا » .

(٢) « ومن كان غنيا فليستعفف ، ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف — ٦ » .

جاءت هاتان الجملتان فى سياق إرشاد الأوصياء إلى ما يسلكونه فى شأن اليتامى .

والمعنى التوجيهى هنا يرجع إلى الإيحاء باتباع هذا المبدأ فى كل حالة اجتماعية حسبية يسند فيها عمل إصلاحى لمن يختار له كعضوية الجمعيات الخيرية ، أو جمعيات التربية والتعليم ، أو المجالس النيابية ، أو مجالس المصالحات أو نحو ذلك .

فالقاعدة التى وجهتنا إليها الآية هى . أن يؤدى القادرون الأغنياء ما يختارون له من أمثال هذه الأعمال حسبة لله تعالى دون مقابل ، أما من كان فقيراً محتاجا فليأخذ الأجر على ذلك ، أو المكافأة بالمعروف : والمعروف فى مثل هذا أن يكون هناك جانب من التبرع بالجهد ، وجانب من المكافأة عليه ، ولهذا لا تقدر المكافأة فى مثل ذلك تقديراً سخيا ، وإنما تقدر فى شىء من التحفظ والرعايه للصالح العام .

* * *

(٣) « تلك حدود الله — ١٣ » .

جملة على إيجازها لها قوة إيحائية توجيهية ، فاذا استقر معناها فى مجتمع ما وقى كثيراً من السيئات والمنكرات والجرائم والصعاب ، لأنه ليس هناك ما يثير فى المجتمعات الفتن ، أو يصيبها بالقلق ، أو يفسد عليها جو الهدوء والأمن والقرار ، إلا تعدى حدود الله ، وحدود الله هى الخطوط التى رسمها للناس فى كل ناحية من نواحى الحياة ، ولم تأت الشريعة إلا لترسم

هذه الخطوط وتأمر الناس بالوقوف عندها ، وتنبههم أن يتخطوها أو يقربوها

فلو أن هذا المعنى التوجيهي كان شعاراً لكل فرد في مجتمعه ، وفيما بينه وبين نفسه ، وفيما بينه وبين أعضاء أسرته ، وفيما بينه وبين ربه ، لكان عليه أن يسائل نفسه . هل أفرط أو فرط ؟ هل خرج عما ينبغي لمثله ؟ هل حكم حدوده هو ومقاييسه هو . أو حدود الله ومقاييس وشريعته .

ولا ينبغي أن يفهم أن حدود الله هي خطوط تحكمية أمر الناس أن يلتزموها ويقعوا عندها ، دون أن يكون لها داع من صلاحهم وخيرهم إلا ينبغي أن يفهم ذلك فان الإسلام لا يأتي أي إصلاح ، ولا يدعو لا إلى ما هو خير وبر ، ولا ينهى إلا عما هو فساد وشر ، وحيثما تكون المصلحة فثم أمر الله ، وحيثما تكون المفسدة فثم نهي الله ، غير أن الله تعالى لم يترك الناس تقدير المصالح والمفاسد على حسب الأهواء ، واختلاف النزعات والآراء ، ولكنه بين وهدى إلى جنس ما يعتبر ، وجنس مالا يعتبر ، مما يحفظ على الشريعة طابعها وقواعدها ومثلها العليا ، ويجعلها ثابتة أمام الأهواء ، متأبية عن مجاراة الذين يريدون أن يطوعوها لمقاييسهم ومثلهم وما تسيغه أذواقهم ونظراتهم ؛ فان هذه الشريعة قائدة وليست مقودة ، وإن الله قد شرعها عن علم وحكمة ، ولم يضعها موضع التجارب كالقوانين البشرية ، والتقاليد المتقلبة .

وإذن فالمبين الذي يجب أن يسري في المجتمع وأن يعتنقه جميع أفراده وجماعاته وتشكيلاته هو : تلك حدود الله .

مفكرو الإسلام

أحمد بن حنبل يتحدى الخلافة العثمانية

للدكتور حسين مؤنس

إن الخليفة المأمون يمتحن الناس فى إيمانهم ، إنه خليفة مستنير وأمير جليل ، ولكنه سلطان لاتسلم نفسه من شدة السلاطين ، كان فارسى المنبت فاكتسب من أصله الفارسى حبا للعلم وميلا الى الانصراف إليه ، وقد أحاط به المؤدبون — وفيهم كثير من الفرس — فجعلوا يبثونه مايمازج دمهم من حب أهل البيت ، حتى مال إليهم واقتنع أنهم أصحاب الحق الاول فى هذا العز الذى يستأثر به العباسيون . وهاله أن يجد الكثرة الغالبة من رعيته لاتنصرهم ولاتنهض لرد حقهم ، فأحب أن ينصفهم بعض الانصاف ، فتشيع لهم زمانا ، ولكنه عاد فترك الأمر إذ وجد فيه خطرا شديدا على ملكه وسلطانه ؛ ثم انصرف إلى الجدل الدينى ، فراقته اراء المعتزلة ، وأعجب بها إعجابا شديدا . فهؤلاء قوم لايقولون بشىء إلا إذا رضيت عنه عقولهم ، ولايسلمون برأى مجبر بن بل طائعين مختارين ، وقد تناولوا بفكرهم كل شىء فانتهوا إلى اراء جديدة لم يسبقهم أحد إليها ، بل لم يقرهم كثير على المضى فيها ، وكانوا قوما أحرار الفكر حقا ، أرادوا أن يتعمقوا فى دينهم ، وألا يقفوا أمام سر من أسراره جامدين دون فهم ، فمضوا يتساءلون عن الله : ماهيته وطبيعته وأصله وصفاته ، وعن الرسول ونفسه وأفكاره وغاياته ؛ وعن القرآن ومعانيه ومراميه وأصوله ، ومادق وغاب عن الفكر من لفظه وتركيبه .

وهنا انتهى بهم إدمان التفكير إلى رأى جديد طريف فى أصل القرآن ، قالوا : إن القرآن قد نزل حسب الحوادث التى حدثت أيام الرسول ، أى أنه حادث مخلوق . وكان أكثر الأئمة لا يرى هذا الرأى أو قل إنهم لم يفكروا فى هذا الموضوع ، وإنما كانوا يعتقدون بداهة أن القرآن لم ينزل بحسب الحوادث أو المشاكل التى عرضت للرسول وإنما هو اقدم من ذلك ، أى وجد من قديم الأزل فلم يتنزل لحادثه ولم تخلق اية منه لمشكلة طارئة ، هكذا كان إيمان الكثرة الغالبة من فقهاء المسلمين وأئمة مفكر بهم فى ذلك الزمان ، استمع المأمون إلى رأى المعتزلة فوجد أنه اقرب إلى العقل وأصح فى حساب المنطق ، فتشيع له . وهنا قامت الخصومة بينه وبين فقهائه وعلمائه ، فلم يطق أكثرهم خصومته بل سلموا برايه طائعين او خائفين ، وارتاح المأمون لطاعة العلماء ،، وكتب الى صاحب شرطته إبراهيم بن إسحاق يأمره بامتحان من بقى على الإباء منهم ، فأتى بهم ، فسلموا واطاعوا ، لم يشذ منهم إلا اربعة كان فكرهم اعز عليهم من راحة ايدانهم ، فرفضوا ان يجيبوا عمال المأمون إلى مايطلبون ، فاذا يئس صاحب الشرطة منهم فقد كتب إلى الخليفة فى امرهم ، وهم : أحمد بن حنبل ، ومحمد بن نوح ، وعبيد الله بن عمر القواريرى ، والحسن ابن حماد . فلما بلغ الخليفة أمرهم ملكه الغضب وامر ان يؤتى بهم إليه ، فلم يكد إثنان منهما يسمعان بذلك حتى تخونهما العزم ونكصا على عقبيهما واطاعا ، واصر اثنان على ماذهبا إليه ، فحملا إلى المأمون مقيدين مصفدين ، هما : احمد بن حنبل ، ومحمد بن نوح .

ترى كيف يفعل المأمون بهذا الرجل الضعيف أحمد بن حنبل ؟ أتراه يعفو عنه ويخلى سبيله احتراما لعلمه اوضنا بدينه وتقاه أن ينالهما أذى ؟ أم تراه يأخذه بعنف وينزل به من العقاب الأمر الشديد ؟ كان الخليفة يعرف أن الإمام لم يكن يرضى عن خلافه بنى العباس ، إذ كان يرى أنها قائمه

على الاغتصاب وإذلال العرب ، وقد جعلوا دأبهم منذ صارت الأمور إليهم أن يقضوا على كل معارضة بحد السيف ، وأن يفرقوا كل مخالف فى دمه وهاهم أولاء يسرفون فى المعصية ويلجون فى الترف حتى ليكادون أن يبتعدوا بالإسلام الصحيح عن طبعه البسيط الصافى ، وهاهى ذى قصورهم تضطرب بالجوارى وتعج بالخدم والندمان والمغنين وأصحاب اللهو من كل صنف ، وهاهم المتشددون من أهل الدين يلقون على أيديهم عذابا هو شر عذاب . فهذا أبو حنيفة يهان ، وذلك مالك يحتمى بالحجاز ، وهذا الشافعى يقاطعونه ويدابرونه ، فكيف يرضى عنهم إمام عفيف كابن حنبل ؟ إنه ليقاطعهم ويجعل بينه وبينهم سدا ، وهل ينسى المأمون أن هذا الرجل قد أبى أن يلى لأبيه قضاء اليمن ؟ فلما كلمه الإمام الشافعى فى هذا نظر إليه وقال : « تأمرنى أن أدخل لهم القضاء ؟ » . كأن الدخول لهم فى القضاء معصية لا يقترفها إمام طاهر كابن حنبل ، فلنر الآن كيف يكون الأمر بين السلطان والإمام ، بين الدنيا والدين ؟

يحسب المأمون أن ليس أيسر عليه من العسف بعالم لا حيلة له أمام الشرط والسياط ، ولكن الأمر ليس بهذا اليسر ، فانه يستطيع أن يأمر صاحب شرطته أن يضرب الفقيه العظيم الفاضل بالسياط حتى تكل يد الضارب ، ولكنه لا يستطيع أن يرغم الفقيه على أن يغير رأيه أو يقول مالا يعتقد ، لأن رجلا واحدا ذا إيمان يستطيع بايمانه أن يزيل عشرات المأمين وعشرات السلاطين .

وكأنما تهيب المأمون الاقدام على عمل لا يجرؤ عليه إلا أمير غرته الدنيا وعبث برأسه الشيطان ، وقد أجابه معظم القضاة وذو والشان الى ما طلب . وكان حريا به أن يترك ابن حنبل وشانه ، فهـذا واحد من عشرات . ولكن غرة سلطانه أبت أن تعلو عليها إرادة رجل فاضل واحد ، ومن ثم أرسل يهدد الفقيه الجليل عساه يبلغ منه بالتهديد ما

يكفيه مئونة الشدة والأذى . ولكن ابن حنبل تلقى وعيد السلطان هادئا ساكنا ورد عليه ردا لاجفوة فيه ولا استثارة ، فما كان من المأمون إلا أن أمر بهذا الرجل (والنفر الذين أبوا الإقرار معه) أن يضربوا بالسياط كما يضرب المجرمون والعابثون بحرمات الناس .

والآن فلنمض إلى حيث يمتحن هذا الرجل الجليل . لنشهد منظرا يهز فؤادنا هزاً ، لنستمع إلى حديث ميمون بن الأصبغ ، فقد رأى امتحان ابن حنبل بعينيه . قال :

« كنت ببغداد فسمعت ضجة ، فقلت . ما هذا ؟ قالوا : أحمد بن حنبل يمتحن ، فأتيت منزلي فأخذت مالا له خطر ، فذهبت به إلى من يدخلني المجلس ، أدخلوني فاذا بالسيوف قد جردت وبالرماح قد ركزت . وبالتراس قد نصبت . وبالسياط قد طرحت ، فالبسوني قباء أسود ومنطقة وسيفاً ، وأوقفوني حيث أسمع الكلام ، فاذا أمير المؤمنين فجلس على كرسي ، وأتي بأحمد بن حنبل فقال له : وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأضربنك بالسياط أو تقول كما أقول ! ثم التفت إلى جلاد فقال . خذه إليك (فأخذه ، فلما ضرب سوطا قال : « بسم الله » ، فلما ضرب الثاني قال : « لاحول ولاقوة إلا بالله ، فلما ضرب الثالث قال : « القرآن كلام الله غير مخلوق » فلما ضرب الرابع قال : « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا » فضربه تسعة وعشرين سوطاً .

هكذا ظل الرجل يعذب كل يوم ، لا يزال الجلاد يضربه حتى يغمى عليه . والخليفة مصر على أن يرغمه على التسليم بما يريد ، وهو ملازم للحق لا يبارحه ، ولكن الله يهبط بالرحمة على عبده ، فيقبض إليه المأمون قبل أن يستخرج من فم هذا الرجل كلمة واحدة . وأراد ربك لهذا العامل القوي الذي دوخ الملوك والذي نشر سلطانه على الدنيا أن يعجز أمام رجل واحد ثابت على مبدئه . .

وهذا أحمد بن حسان يحدث فيقول : « لما حملت مع أحمد إلى المأمون تلقانا خادم وهو يبكى ، ومسح دموعه وهو يقول . عز على يا أبا عبد الله ما نزل بك ، فقد جرد أمير المؤمنين سيفاً لم يجرده قط ، وبسط نطعاً لم يبسطه قط ، ثم قال : وقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأ رفعت السيف عن أحمد وصاحبه حتى يقول : (إن القرآن مخلوق) فجثا أحمد على ركبتيه ، ولحظ السماء بعينيه ودعا ، فما مضى الثلث الأول من الليل إلا ونحن بصيحة وضجة ، فاقبل علينا خادمه وهو يقول : صدقت يا أحمد . القرآن كلام الله غير مخلوق ، لقد مات والله أمير المؤمنين ! »

ثم أقبلت أيام المعتصم ، وهو رجل تركى المنبت لا يميل إلى الفكر ولا يعنى بامر العلماء ، ولكنه ورث عن أخيه المأمون هذا الأمر ، فاشتد فيه بما عرف عنه من الشدة والعنف ، حتى لقد حدث ابو عياض أن المتعصم (حبس الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه ثمانية وعشرين شهرا كان فيها يضرب بالسياط إلى أن يغمى عليه . وينخس بالسيف حتى يرتمى على الأرض ويداس عليه .

ثم مضت أيام المعتصم وأقبلت أيام الواثق فاشتدت المحنة على أحمد وهو صابر ثابت . حتى مات الواثق ، وأقبل المتوكل فرفع المحنة عن أحمد وأمر باحضاره وإكرامه وكتب إلى الآفاق برد المحنة عنه وإظهار السنة ، وأن القرآن غير مخلوق ، ودعاه إلى قصره .

فلما دخله التفت الى أمه وقال :

— يا أماه قد أنارت الدار بهذا الرجل !

لقد انتصرت الفكرة وفاز الإيمان . لقد انتصر الرأى وأخفق السلطان !

مقام الاحسان فى الأسلام

للاستاذ محمد قطب

قال : فاخبرنى عن الاحسان .

قال . ان تعبد الله كأنك تراه . فان لم تكن تراه فانه يراك .

كان السؤال قبل ذلك عن الاسلام ثم عن الايمان . الاسلام درجة والايمان بعد ذلك درجة . وهذه هى درجة الاحسان . لكى يكون اسلامك حسنا . وايمانك كذلك .

تعبد الله كأنك تراه . .

تعبير عجيب يحمل فى بساطته حقيقة هائلة .

وأروع مايروعنى فيه (وقد يكون هذا تأثرا شخصيا) أنه يفاجئك وأنت تقلب وجهك فى الآفاق ، باحثا عن الاجابة . يفاجئك بالقبلة التى ينبغى أن تتجه إليها فاذا أنت هناك ـ على حين غرة ـ ترى النور . .

النور الذى يبهر العين ينهر القلب وينهر الروح ،

ترى الله . . .

« الله نور السماوات والأرض . . . نور على نور ، يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم » :

* * *

القاعدة الكبرى التى يقيم عليها الاسلام بناءه كله . هى أن تعبد الله كأنك تراه .

يقيم عليها نظمه جميعا . وتشريعاته جميعا وتوجيهاته جميعا . .

نظام السياسة . نظام الاقتصاد . نظام المجتمع . موقف الفرد من الدولة وموقف الدولة من الفرد . نظام الأسرة . معـــاملات الأفراد : معاملات الدول فى السلم وفى الحرب . . . كل شىء فى هذه الحياة !

ولقد يخطر للإنسان (أول ما يخطر) أن هذه عبادة : أليس فيها أن « تعبد الله » ! ؟

بل قد يخطر للانسان أنها العبادة القصوى ، التى ينقطع فيها وحين تتوجه إليه بنفسك جميعا : ظاهرها وباطنها . وسرها ونجواها . وحين تتوجه إليه وفى نفسك شعور التقوى الخاشعة والرهبة العميقة : فلا شك أنك ستنظف نفسك وتحرص على نظافتها .

إن الله لا تخفى عليه خافية . فكيف تستتر منه وأنت مقبل عليه ؟ كيف يمكن أن نعمل عملا واحدا لا يراه ؟

« ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد » « يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور » يعلم السر وأخفى » « يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافيـة » :

يا الله ! حتى خائنة الأعين ! الخائنة التى يظن الانسان أنه وحده الذى يحسها ويعرفها : وألا أحد فى الوجود كله يراها أو يفهمها ؟

حتى الوسوسة التى لا يطلع عليها أحد ، وصاحبها نفسه قد ينساق معها دون أن يتيقظ لها ؟

حتى السر : بل ما هو أخفى من السر : الخطوات الخائبة فى مسارات النفس . لا تصل الى ظاهر الفكر ، ولا يتحرك بها اللسان للتعبير !

يا الله ! إنه لا ستر إذن ولا استخفاء :

كل نفسك مكشوفة وأنت مقبل عليه . أفلا تنظف نفسك إذن قبل الاتجاه : ألا تزكيها ؟

ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها . »

فأما إن كنت معرضا عنه غير متوجه إليه . إن كنت لا تنظف له نفسك ولا تزكيها . فلن يغير ذلك شيئا من الأمر !

إنه يراك ! يراك بكل ما تصنع بنفسك من « تدسية » ومن سوء . يراك بخبائثك وأوضارك : يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور :

يراك . فما الفائدة فى التستر والاختفاء ؟ بل ما الفائدة من الإعراض والانصراف ؟ أالملك غير ملك الله تذهب ؟ « وبيده ملكوت كل شىء وإليه ترجعون » ؟ أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ؟ ساء ما يحكمون . أم حسبوا أنهم معجزون فى الأرض ؟ أم حسبوا أن يفلتوا من العقاب ؟

كلا ! ما شىء من ذلك بمستطاع . فخير لك أن تراه وهو يراك !

* * *

وإنه لا يكلفك من أمرك رهقا !

« هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج : لا يكلف الله نفسا الا وسعها ، فاتقوا الله ما استطعتم . .

إن رحمة الله واسعة : وإنه ليعلم ضعف الإنسان وماركب فى طبيعته من حب الشهوات : زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث . . » ويعلم أن الجهد شاق والسفر طويل .

لذلك يقول ، فاتقوا الله ما استطعتم . .

ويقول : ادعونى أستجب لكم . أدعونى لكل شىء : وادعونى (فيما تدعونى إليه) لأعينكم على تنظيف أنفسكم من وعثاء الطريق !

هل جربت أن تستعينه فى هذا الأمر ؟

صدق الله وصدق وعده الحق .

ما يتوجه له إنسان يستعينه على نظافة النفس وطهـــارة القلب : الا استجاب له وأعانه على ما يريد !

وما هو بسحر ساحر ! ولكن هكذا يحدث حين يتجه القلب إلى الله ويخلص فى دعواه . إنه يجد الأمر عليه هينا ، ويجد نفسه أكبر من المغريات وأقوى من المعوقات : ويحس (إحساسا ملموسا مجسما) أن الله هو الذى يعينه ويسر له السبيل !

ومع ذلك كله فقد تضعف فى الطريق وتخور قواك . فهل يلفظك من رحمته ويحل غضبه عليك ؟

كلا ! ما دمت لم تنكص على عقبيك ولم تنكب الطريق .

انه يغفر . يغفر الذنوب جميعا ، وسعت رحمته كل شىء .

« والله يحب المحسنين : والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم (ومن يغفر الذنوب إلا الله ؟) ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ، أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها : ونعم أجر العاملين » :

« إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا : فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات : وكان الله غفورا رحيما » :

« قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله : إن الله يغفر الذنوب جميعا » :

كلا ! لن يلفظك من رحمته ما دمت باقيا على الطريق : وما عليك الا أن تقوم من عثرتك وتنفض ثوبك وتتجه إليه من جديد . .

* * *

وحين تتوجه اليه : حين ترقبه كأنك تراه : حين تنظف نفسك

وتحرص على ألا تتلوث فى الطريق : حين تحاسب نفسك على كل صغيرة وكبيرة خشية أن تكون قد حدث : حين تراجع كل عمل عملته وكل كلمة قلتها وكل خاطرة وسوست بهـا نفسك وكل حركة تحركتهـا جارحة من جوارحك :

حينئذ يستقيم الأمر كله فى هذه الحياة ،

أمر الحاكم والمحكوم : والفرد والمجتمع ، والمرأة والرجل : والوالد والولد : والأمة والأمم على أوسع نطاق :

وحين كان المسلمون الأوائل يعبدون الله كأنهم يرونه كانت تلك الأمة العجيبة الفريدة فى التاريخ : « كنتم خير أمة اخرجت للناس . تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »

اثر الاستغفار فى الحياة

يقول الامام ابو الحسن الشاذلى :

« . . . إن من احصن الحصون من وقوع البلاء على المعاصى الاستغفار . قال الله تعالى « وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » .

التربية الصوفية في الحكم العطائية

للأستاذ السيد محمد عيد الشافعي

يقول ابن عطاء الله

(لا يكن تأخر أمد العطاء مع الالحاح في الدعاء موجباً لياسك ، فهو ضمن لك الاجابة فيما يختاره لك. لا فيما تختاره أنت لنفسك وفي الوقت الذي تريد ، لا في الوقت الذي تريد)

كثير من الناس يطلبون من الله عز وجل ما يعتقدون فيه صلاحهم ، فإن تأخرت عليهم الإجابة إلى الصور التي يطلبونها استولى على نفوسهم اليأس وتركوا الدعاء قائلين : دعونا فلم يستجب لنا ، فيكون ذلك القول سببا في حرمانهم من الاجابة ، كما يقول رسولنا صلى الله عليه وسلم « يستجاب لأحدكم مالم يعجل ، فيقول : دعوت فلم تستجب لي » : والأمر في هذا يحتاج إلى تفصيل وفهم ،

يقول الله تعالى : « ادعوني أستجب لكم » . فهو قد أذن لك بالدعاء إلا ليفيض عليك الاجابة : طواعية تظهر عن كرم نفساني تحنانا يضطر ، فالمجيب : هو المقبل عليك بإدخال المسرة ، مالم تتنافى مع قانون من قوانين الحكم القائم على مراعاة الاصلح ، تفضلا منه لا وجوبا عليه . ولما أن كانت الامور منها ما يكون صورته خيرا وفي باطنها الشر ، ومنها ما يكون في صورتها شرا وفي باطنها الخير ، والانسان عاجز عن إدراك الامر في تمسمين على حقيقته ، فتراه يطلب ما صورته خير وقد يكون في باطنه

الشر ، وتراه يتعوذ مما صورته شر ؛ وقد يكون فى باطنه الخير . قال تعالى (وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) . ولما أن كان الحق تبارك وتعالى لا يفعل بعبده إلا ما هو خير له فقد اقتضت حكمته سبحانه ألا يستجيب للدعاء وفق مراده إلا إذا كان فى ذلك الخير للداعى ، أما إذا لم يكن فيه خير له فيدخر لعبده — كرما — طلبته لحين لقائه ، أو يصرف عنه من السوء مثلها . وقد نطق بذلك معلم الخير ورسول الهدى محمد صلى الله عليه وسلم فقال . (ما من مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة إلا آتاه الله بها إحدى ثلاث : إما أن تعجل له دعوته (أى فى الصورة التى يطلبها) وأما أن تدخر له يوم القيامة ، وأما أن يصرف عنه من السوء مثلها (فقالت الصحابه رضوان الله عليهم : إذا نكثر يارسول الله ؟ قال (: الله أكثر). وهذا نص فى الأمر ، إذ أن الآية مطلقة فى قوله (أستجب لكم).

ولا شك أن المتفهم للامر يتبين له أن الاجابه المطلقة حاصلة لا محالة ، كما ورد فى عموم الآية ، وإن لم تتعين الاجابة فى الصورة التى يطلبها الداعى . فهو إذاً ضمن لك الاجابة فيما تختاره لك لا فيما تختاره أنت لنفسك . ثم مما اقتضته حكمة ربك سبحانه أن تحصل الاجابة فعلا ، إلا أنها فى الوقت الذى يريد ، لا فى الوقت الذى تريد ، كما حدث لمن اصطفاه الله برسالته وكلامه وأخيه هارون عليهما وعلى نبينا السلام حينما دعوا على فرعون وقومه فقالا (ربنا اطمس على أموالهم) إلى آخر الآية ، فقال تعالى : (قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) والثابت أنه كان بين قول الله لهما قد أجيبت دعوتكما وبين تحقق الدعوة فعلا أربعون سنة ، وما ذاك قطعا إلا لحكمة يعلمها مدبر الكائنات ، والذى لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء . وإن دقت الحكمه عن إدراك البشر فليس معنى ذلك أنه لم يكن لله حكمة فى فعله ؟ وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن للدعاء أحكاما وآدابا يجب على الداعى مراعاتها .

(أولا) أبان لنا رسول الله ﷺ وسلم أن حضور القلب فى الدعاء شرط فى الاجابة فقال : « القلوب أوعية ، وبعضها أوعى من بعض ، فاذا سألتم الله عز وجل أيها الناس فاسألوه وأنتم موقنون بالاجابة ، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه » . وإذا فحضور القلب شرط ، ومتى انتفى الشرط انتفى المشروط .

(ثانيا) الترصد للاوقات الشريفة التى أخبر عنها رسول الله ﷺ . كيوم عرفة وساعة الجمعة ووقت السحر ودبر الصلوات المكتوبات .

(ثالثا) أن يكون الداعى مستقبل القبلة . لما روى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة . ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس .

(رابعا) أن يرفع يديه فى الدعاء ، وأن يضم كفيه ولا يردهما حتى يمسح بهما وجهه . وذلك لما روى عن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا مد يديه فى الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه . وما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى عليه وسلم كان إذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلى وجهه .

(خامسا) أن يبدأ الدعاء بالحمد والثناء على الله تعالى ، وأن يختمه بالصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم ، وذلك لما روى عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه أنه ما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح دعاء إلا استفتحه بقوله « سبحان ربى الأعلى الوهاب » وما روى عن أبى الدرداء رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا سألتم الله عز وجل حاجه فابتدئوا بالصلاة على . فان الله تعالى أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضى أحداهما ويرد الأخرى » .

(سادسا) أن يكون منخفض الصوت بين المخافتة والجهر ، لما روى عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه حيث قال : « قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دنونا من المدينة كبر وكبر الناس ، ورفعوا أصواتهم ، فقال النبى صلى الله عليه

وسلم :). يأيها الناس ! ! إن الذى تدعون ليس بأصم ولا غائب ، إن الذى تدعون بينكم وبين أعناق ركابكم) :

(سابعاً) ألا يتكلف السجع فى الدعاء ، لقوله صلى الله عليه وسلم : (إياكم والسجع فى الدعاء ، حسب أحدكم أن يقول : اللهم إنى اسالك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل : وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل » .

(ثامنا) أن يعظم الرغبة ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : « إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة ، فان الله لا يتعاظمه شىء » :

(تاسعاً) أن يعزم المسألة وهو على يقين من الاجابة ؛ لقوله صلوات الله عليه (لا يقل أحدكم إذا دعا : اللهم اغفر لى إن شئت ، اللهم ارحمنى إن شئت ، ليعزم المسألة فانه لا مكره له) .

(عاشرا) أن يتحرى الحلال فى مأكله ومشربه وملبسه ، لقوله صلى الله عليه وسلم) يكون الرجل مطعمه حراما وملبسه حراما فأنى يستجاب له) .

(الحادى عشر) أن يلح فى الدعاء ولا يستبطىء الاجابة ، لقوله صلى الله عليه وسلم : (يستجاب لاحدكم مالم يعجل فيقول . دعوت فلم يستجب لى ، فإذا دعوت فاسأل الله كثيرا فإنك تدعو كريما) .

(الثانى عشر) أن يحمد الله عز وجل ، سواء تبين الاجابة على صورة ما أراد أو لم يتبين ، لقوله صلوات الله عليه : (إذا سأل أحدكم ربه مسألة فتعرف الإجابه فليقل : الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات . ومن أبطأ عنه شىء من ذلك فليقل الحمد لله على كل حال » .

فاذا وفق العبد للتمسك بهذه الآداب المحمدية فى دعائه تأسيا برسول الهدى صلوات الله عليه ، وكان مضطرا فى دعائه اضطرارا حقيقيا فلا بد له من الفوز بثلاث :

الأولى ـ شرف إظهار الفاقة والخضوع لله فى الدعاء .

الثانية ـ ثواب الاتباع للرسول صلوات الله عليه فى قوله وفعله .

الثالثة ـ حصول الاجابة على صورة يعلم الله جل شأنه أن فيها الخير له ، وليس بعد اختيار الله لعبده خير ، فان الله بالناس لرءوف رحيم ، والله سبحانه وتعالى أعلم ، ويهدى من يشاء إلى سواء السبيل .

حجة الإسلام الغزالى

وتفسيره القرآن

يشرح حجة الإسلام فى تلك الرسالة المضيئة :

قوله تعالى :

« الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء » .

وبيان ذلك يستدعى تقديم قطبين يتسع المجال فيهما إلى غير حد محدود، ولكنى أشير إليهما بالرمز والاختصار :

أحدهما فى بيان سر التمثيل ومنهاجه ووجه ضبط أرواح المعانى بقوالب الأمثلة ، ووجه كيفية المناسبة بينهما، وكنه الموازنة بين عالم الشهادة التى منها تتخذ طيبة الأمثال ، وبين عالم الملكوت التى منه تنزل أرواح المعانى .

والقطب الثانى فى طبقات أرواح الطينة البشرية ومراتب أنوارها ، فان هذا المثال مسوق لبيان ذلك . وقد قرأ بن مسعود « مثل نوره فى قلب المؤمن كمشكاة فيها ، وقرأ أبى بن كعب « مثل نور قلب من آمن كمشكاة فيها » .

القطب الأول — فى بيان سر التمثيل ومنهاجه : اعلم أن العالم عالمان : روحانى

وجسماني وإن شئت قلت: حسي وعقلي، وإن شئت قلت علوي وسفلي، والكل متقارب، وإنما يختلف باختلاف العبارات، فإذا اعتبرتهما في أنفسهما قلت جسماني وروحاني، فإذا اعتبرتهما بالإضافة إلى العين المدركة لها، قلت: حسي وعقلي، وإن اعتبرتهما بإضافة أحدهما إلى الآخر، قلت علوي وسفلي، وربما سميت أحدهما عالم الملك والشهادة، والآخر عالم الغيب والملكوت، ومن ينظر إلى الحقائق من الألفاظ ربما يتحير من كثرتها ويتخيل كثرة المعاني، والذي تنكشف له الحقائق يجعل المعاني أصلا والألفاظ تابعة. وأمر الضعيف بالعكس منه، إذ يطلب الحقائق من الألفاظ. وإلى الفريقين الإشارة بقوله تعالى «أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أم من يمشي سوياً على صراط مستقيم».

وإذ قد عرفت معنى العالمين، فاعلم أن العالم الملكوتي العلوي عالم الغيب إذ هو غائب عن الأكثر، والعالم الحسي عالم الشهادة، إذ يشهده الكافة والعالم الحسي مرقاة إلى العالم العقلي، ولو لم يكن بينهما اتصال ومناسبة لانسد طريق الترقي إليه، ولو تعذر ذلك لتعذر السفر إلى الحضرة الربوبية والقرب من الله، فلن يقرب من الله أحد، مالم يطأ بحبوحة حظيرة القدس. والعالم المرتفع عن إدراك الحس والخيال هو الذي نعنيه بعالم القدس، وإذا اعتبرت جملته بحيث لا يخرج منه شيء ولا يدخل فيه ما هو غريب منه سميناه حظيرة القدس، وربما سميناه الروح البشري هو مجرى لوائح القدس الوادي المقدس. ثم هذه الحظيرة فيها حظائر بعضها أشد إمعانا في معاني القدس. ولكن لفظ الحظيرة محيط بجميع طبقاتها، فلا تظن أن هذه الأفعال طامات غير معقولات عند أرباب البصائر!.

وأشتغالي الآن بشرح كل لفظ مع ذكره، يصدني عن المقصد، فعليك بالتشمير لفهم الألفاظ فأرجع إلى الغرض فأقول: لما كان عالم الشهادة مرقى إلى عالم الملكوت، كان سلوك الصراط المستقيم عبارة عن هذا

الترقى ، إلى عالم الملكوت ، كان سلوك الصـــراط المستقيم عبارة عن هذا الترقى ، وقد يعبر عنه بالدين وبمنازل الهدى ، فلو لم يكن بينهما مناسبة اتصال لما تصور الترقى من أحدهما إلى الآخر ، فجعلت الرحمة الآلهية عالم الشهادة على موازنة عالم الملكوت . فما من شيء فى هذا العالم إلا هو مثال لشيء من ذلك العالم وربما كان الشيء الواحد مثالا لأشياء من عالم الملكوت ، وربما كان الشيء الواحد من الملكوت أمثلة كثيرة من عالم الشهادة ، وإنما يكون مثالا إذا ماثله نوعا من المماثلة ، وطابقه نوعا من المطابقة ، وإحصـــاء تلك الأمثلة يستدعى استقصاء جميع موجودات العالمين بأسرها ، ولن تفى به القدرة البشرية ولم تتسع لفهمه القوة البشرية ، ولا تفى لشرحه الأعمار القصيرة ، فغايتى أن أعرفك منها أنموذجاً لتستدل باليسير منها على الكثير ، وينفتح لك باب الاستبصار بهذا النمط من الأسرار فأقول :

إن كان فى عالم الملكوت جواهر نورانية شريفة عالية يعبر عنها بالملائكة ، منها تفيض الأنوار على الأرواح البشرية ولاجلها قد تسمى أربابا ، فيكون الله رب الارباب لذلك ، ويكون لها مراتب فى نورانيتها متفاوتة ، فبالحرى أن يكون مثالها من عالم الشهادة الشمس والقمر والكواكب وبذلك الطريق يترقى أولا إلى ما درجته درجة الكواكب فيتضح له إشراق نوره ، وينكشف له أن العالم الاسفل بأسره تحت سلطانه وتحت اشراق نوره ويتضح له جماله وعلو درجته ما ينادى فيقول : هذا ربى ! ثم اذا اتضح له ما فوقه مما رتبته رتبة القمر ، رأى أفول الاول فى مضرب الهوى أى بالإضافة الى ما فوقه أفولا : لا أحب الآفلين ! فكذلك يترقى حتى ينتهى الى ما مثاله الشمس ، فيراه أكبر وأعلى ، قابلا للمثال بنوع مناسبه له معه والمناسبة مع ذى النقص نقص ، وأقول أيضا فيه من يقول . وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفاً وما أنا من المشركين ، ومعنى

الذى اشارة مبهمة لا مناسبة لها . اذلو قال قائل : ما مثال مفهوم الذى ؟ لم يتصور أن يجاب عنه ! فالمنزه عن كل مناسبة هو الله الحق ، ولذلك لما قال بعض الأعراب لرسول الله ما نسبة الله ؟ نزل فى جوابه : « قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » معناه التقديس عن النسبة ، ولذلك لما قال فرعون لموسى : وما رب العالمين كالطالب لما هيته ، لم يجبه إلا بأفعاله . إذ كانت الأفعال أظهر عند السائل فقال : رب السموات والأرض ، فقال فرعون لمن حوله : ألا تستمعون ؟ كالمنكر عليه فى عدوله فى جوابه عن طلب الحقيقة ، فقال موسى : « ربكم ورب آبائكم الأولين » ، فنسبه فرعون إلى الجنون ، إذ كان مطلبه المثال والماهية وهو يجيب عن الأفعال بالأفعال ، وقال فرعون : إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون .

ولنرجع الآن إلى الأنموذج فنقول : علم التعبير يعرفك مقدار ضرب المثال لأن الرؤيا جزء من النبوة أما ترى أن الشمس فى الرؤيا تعبيرها السلطان لما بينهما من المشاركة والمماثلة فى معنى روحانى وهو الاستعلاء على الكافة مع فيضان الآثار والأنوار على الجميع ؟ والقمر تعبيره الوزير لإفاضة الشمس نورها بواسطة القمر على العالم عند غيبتها كما يفيض السلطان آثاره بواسطة الوزير على من يغيب عن حضرة السلطان . وأن من يرى أن فى يده خاتما يختم به أفواه الرجال وفروج النساء يعبر له ، أنه يؤذن قبل الصبح فى رمضان ! ومن رأى أنه يصب الزيت فى الزيتون تعبيره أن تحته جارية هى أمه وهو لا يعرفها !

فاستقصاء أبواب التعبير فى أمثال هذا الجنس غير ممكن ، فلا يمكننى الاشتغال بعدها ، بل أقول : كما أن فى الموجودات العالية الروحانيه مامثاله الشمس والقمر والكواكب . منها مالها أمثلة أخرى إذا اعتبرت منها أوصاف أخرى سوى النورانية ، كذلك ، فان كان فى تلك الموجودات

ما هو ثابت لا يتغير وعظيم لا يستصغر ، ومنه تنفجر إلى أودية القلوب البشرية مياه المعارف وتفائس المكاشفات ، فمثاله الطور ، وإن كانت الموجودات التي تتلقى تلك النفائس بعضها أولى من بعض فمثالها الوادى وإن كانت تلك النفائس بعد اتصالها بالقلوب البشرية تجرى من قلب إلى قلب فهذه القلوب أيضا أودية ، ومنتهى الوادى قلوب الأنبياء والأولياء والعلماء ، ثم من بعدهم . فان كانت هذه الأودية دون الأول منها نغترف فبالحرى أن يكون الأول هو الوادى الايمن دون لجته وميدانه ، وإن كان روح النبي سراجا منيرا وكان ذلك الروح مقتبسا بواسطة وحى كما قال « أوحينا إليك روحا من أمرنا » فما منه الاقتباس مثاله النار ، وإن كان المتلقون من الأنبياء بعضهم على محض التقليد لما يسمعه وبعضهم على حظ من البصيرة ، فمثال المقلد الغير المستبصر ، الجذوة والقبس والشهاب .

وصاحب الذوق مشارك للنبي فى بعض الاحوال ومثال تلك المشاركة الاصطلاء وإنما يصطلى بالنار من معه النار لا من سمع خبرها وان كان أول منزل الانبياء الترقى الى العالم المقدس عن كدورة الحس والخيال ، فمثال ذلك المنزل الوادى المقدس : وإن كان لا يمكن وطء ذلك الوادى المقدس إلا باطراح الكونين أعنى الدنيا والاخرة والتوجه إلى الواحد الحق وكانت الدنيا والاخرة متقابلتين متجاذبين وهما عارضان للجوهر النورانى البشرى يمكن اطراحهما مرة والتلبس بهما أخرى ، فمثال اطراحهما عند الإحرام والتوجه إلى كعبة القدس ، خلع النعلين . بل نترقى إلى الحضرة الربوبية مرة أخرى فنقول : إن كان فى تلك الحضرة شيء بواسطته تنتقل العلوم المفصلة فى الجواهر القابلة فمثاله القلم ، وإن كان فى تلك الجواهر القابلة للتلقى ما انتقش بالعلوم ، فمثاله اللوح والكتاب والرق المنشور . وإن كان فوق الناقش للعلوم شيء هو مسخر له ، فمثاله الصورة ، وإن كان هذه الحضرة المشتملة على اليد واللوح والقلم والكتاب

ترتيب منظر ، فمثاله الصورة . وإن كان يوجد الصورة الإنسية ترتيب منظوم على هذه المشاكلة ، فهي على صورة الرحمن . وفرق بين أن يقال على صورة الرحمن وبين أن يقال على صورة الله ، اذ الرحمة الإلهية هي التي على صورة الحضرة الإلهية بهذه الصورة . ثم أنعم على آدم فاعطاه صورة مختصرة جامعة لجميع أصناف ما في العالم ، حتى كانها كل ما في العالم أو نسخة من العالم مختصرة . وصورة آدم أعني هذه الصورة ، مكتوبة بخط الله الخط الإلهي الذي ليس برقم حروف ، اذ يتنزه خطه عن أن يكون رقما وحروفاً ، كما يتنزه كلامه عن أن يكون صوتا وحروفا ، وفعله عن أن يكون قصصا وحديداً ، ويده عن أن تكون لحما وعظما ! ولو لا هذه الرحمة لعجز الآدمي عن معرفة ربه . اذ لا يعرف به الا من عرف نفسه فلما كان هذا من آثار الرحمة كان صورة الرحمة كان صورة الرحمن لا على صورة الله لحضرة الإلهية غير حضرة الرحمن وغير حضرة الملك وغير حضرة الربوبية ولذلك أمر بالعياذ بجميع هذه الحضرات فقال ، قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس ، ولو لا هذا المعنى ، لكان قوله : ان الله خلق آدم على صورة الرحمن غير منظوم لفظا . بل كان ينبغي أن يقول على صورته . واللفظ الوارد في الصحيح على صورة الرحمن . ولأن تمييز حضرة الملك عن الربوبية يستدعي شرحا طويلا فلنتجاوزه ، ويكفيك من الأنموذج هذا القدر : فإنه بحر لا ساحل له . فإن وجدت في نفسك نفوراً عن هذه الأمثال فاستأنس بقوله تعالى ، أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ، الآية — فانه قد ورد في التفسير أن الماء هو المعرفة والأودية القلوب .

ضفدعة تسخر من داود

للأستاذ محمود شلبي

يعجبني من آثار الأقدمين . . .

ذلك الأثر القائل : «قام داود يصلي من الليل ، فوقع في نفسه أن أحدا لا يسبح الله تعالى في تلك الساعة مثله . فأوحى الله الى ضفدعة ، فقالت .

يا داود ظننت كذا وكذا ؟ ، فاعلم أني ومن ورائي سبعين ألف ضفدعة ، تسبح الله تعالى طول الليل على قدم واحدة ! »

يعجبني ذلك الأثر . . . لأنه بعيد الدلالة عميق الفكرة .

لأنه يكشف من غرور الانسان ، ذلك الذي يظن أنه مدار كل شيء ، وأن الأشياء كلها تدور من حوله .

وهذا الغرور من الانسان أصل في تكوينه ، ولا يفلت منه أحد من بني جنسه .

وهذا الغرور من ابن آدم غريزة طبيعية ، يقدر أن يبرأ منها في حياته :

ولها سببان يدفعانه دفعاً إليها .

الأول : الشيطان . . ذلك المخلوق الخارجي عنه ، المسلط عليه ، بقول الله تعالى « وعدهم . . . وما يعدهم الشيطان إلا غروراً » .

ومن هنا ينشأ الغرور في الانسان .

ولكن ما هو هذا الغرور ؟ .

هو أن يعتقد الانسان خلاف الواقع ، بما يخيل إليه الشيطان ، وبما يزين في رأسه .

والثانى : ضعف الانسان الجبلى . . . الناشىء من قوله سبحانه « وخلق الانسان ضعيفاً » .

وهذا الضعف الجبلى ، يدفع الانسان دفعاً إلى الغرور ، بدافع النقص الذى فيه :

والقضية الآن بدأت تتجلى وتتشعشع .

فالغرور غروران . . . غرور من الشيطان ، وغرور من الانسان .

أما غرور الشيطان ، فشىء طارىء ، يطرأ على الانسان من خارج بمسة يوسوس إبليس :

وأما غرور الانسان . فهو من داخل . من باطن . ينبع من ضعف الانسان . وكلاهما خطران . وعدوان لدودان :

ويحضرنى هنا موقف إبليس من جسم آدم . حين خلقه الله صلصالا كالفخار ثم طوف إبليس من حوله : فلما رآه ذا جوف وأحشاء . علم أنه لم يلبث أن يتهالك .

لقد أدرك إبليس على الفور . حين رأى جسم آدم ملقى فى الجنة . قبل نفخ الروح فيه ، أدرك أنه مخلوق طبعيف يسهل مخادعته وإضلاله .

ورتب خطته على ذلك ، وكان تكتيكه مع بنى آدم كله تابعاً من هذا الفهم الأصيل .

وعلى هذا يعتبر ضعف الانسان التركيبى . هو الذى مكن ابليس من التسلط عليه .

وسنفصل ذلك تفصيلا جميلا .

أنظر إلى الانسان . . . نطفة دافقة تستقر فى الأرحام إلى حين . ثم يصورها الله كيف يشاء .

ثم يخرج الانسان إلى الحياة ضعفاً ، وعجزاً مطلقاً .

أما الضعف فهناك دليله النصي ، الذي يؤيد دليله الواقعي . .

أما النص فقوله « الله الذي خلقكم من ضعف : ثم جعل من بعد ضعف قوة ، ثم جعل من بعد قوة ضعفا ؛ وشيبة . . .

وقوله « حملته أمه وهنا على وهن . . . »

وأما دليل الواقع . فما نراه جميعاً من أمر المولود :

يولد عاجزاً عن كل شيء . عكس الحيوان الذي يولد قادراً بعض الشيء ، هو كتلة من اللحم المتحرك . لا يعلم شيئاً . ولا يقدر على شيء . ولا يستطيع شيئا .

فهو في حاجة إلى من يرضعه : وهذا أشد أنواع الضعف .

وحتى أمعاؤه لا تستطيع أن تهضم الطعام المألوف ولذلك جعل الله له لبناً سهلا مهضوما .

وتراه عجزاً تاما . . . وهو رضيع ، لا يستطيع لنفسه نفعاً ولا ضراً .

فهو يحتاج الى أمه كي ترضعه وتلبسه : وتغطيه إذا نام . وتغسل جسمه إذا اتسخ : وهكذا . . عجز تام ، وجهل تام :

قال تعالى « أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً » ،

ثم يتطور هذا المخلوق العاجز : شيئا فشيئا : فيتطور معه اكتساب الصفات شيئا فشيئا :

فبعد أن كان جهلا تاما : يتحول الى علم نسبي .

وبعد أن كان عجزاً تاما : يتحول إلى قدرة نسبية .

وبعد أن كان عالة على أمه . يبدأ ينفصل عنها نسبيا .

وهكذا . . ترتفع طاقاته شيئا فشيئا .

حتى يبلغ مرحلة البلوغ . فيكون منه القدرة على الجنس .

وهنا يفرض عليه الله الفرائض، لأن طور البلوغ، طور اكتمال الشهوة طور انطلاق واشتياق، تحتاج إلى (فواصل) وتلك مهمة الفرائض.

ومايزال الإنسان يقوى ويقوى، حتى يبلغ أقصى درجات القوة.

ثم يلحقه الأصل الذي هو منه... الضعف... فما يزال يضعف، ويضعف حتى يتدلى فى كل شيء، وتكون الشيخوخة بوجهها الكئيب.

انهيار تام فى كل شيء...

قال تعالى (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكى لا يعلم من بعد علم شيئاً).

أحط أنواع العمر تلك الشيخوخة، يتساقط فيها الإنسان من قوته كما تتساقط الأوراق عن أغصانها.

إنها إعداد للموت... وتمهيد للفناء.

ذلك هو الانسان، يبدأ من ضعف وينتهى إلى ضعف.

حتى مرحلة الشباب، تلك التى يبلغ فيها شيئا من القوة، تعتبر مرحلة طارئة ولذلك لايلبث ابن آدم يرتد بعدها الى، طبيعة الضعف.

والإنسان ليس فقط ضعيفا فى بنيان جسمه المادى، إنما هو ضعيف فى صفاته المعنوية.

هو ضعيف فى شهواته، لا يصبر عن النساء. ولا تصبر النساء عن الرجال!.

ضعيف فى إرادته لا يصبر على طاعة. ولا يصبر عن معصية. ولا يصبر فى الله. ولكن يجزع، ويجمح الى الانطلاق دائما.

ضعف فى الايمان بالله، برغم الايمان، فاذا دهمته صروف البلاء، طار عنه ايمان، وتضعضع منه جنانه!.

ضعيف أمام المخلوقات التى تشاطره الحياة فوق الأرض... فماذا يفعل الانسان اذا صارعه أسد من الأسود؟.

ضعيف أمام الميكروبات والفيروس الذى يهاجمه ، وينشر فى جسمه . وقد يقتله وهو لا يستطيع له دفعاً ! :

هذا عن الضعف الجبلى . المجبول عليه الانسان .

فاذا عن الغرور ! :

هذا الضعف يدفع الانسان الى الغرور . أو هو الذى يدفعه عملا إلى الغرور : كيف هذا . ؟

تلك مهمة الشيطان . . أو هنا يأتى دور الغرور الشيطانى : أو دور الغرور الطارىء من خارج :

يعلم الشيطان من الانسان هذا الضعف : فيوسوس إليه . ويخوفه . فتضعف ارادة الانسان : ويستسلم له .

وكيف ذلك ؟ .

يعلم الشيطان أن الطفل ضعيف أمام أبويه . يراهما إلهين اثنين ، وكيف لا وهما أساس حياته . وأصل رعايته ؟ .

فتزين له أن هذين الأبوين هما الالهان المعبودان : ويجب عليه طاعتهما طاعة تامة .

فاذا قالا له اكفر : كفر ..

هل هذا يحدث ؟ .

نعم : بلى هو الحادث . وما كفر من كفر إلا من هنا . . . من قولهم . . إنا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون .

كيف كان اليهودى يهوديا الا بتوجيه أبويه له فاطاعها وتهود ؟ :

وكيف كان المجوسى مجوسيا . الا أن وجهه أبواه الى المجوسية فتابعهما :

قال صلى عليه وسلم (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) .

ثم يأتي الشيطان الى الإنسان حين يبلغ، ويعلم منه أن الشهوة الجنسية تشتغل فيه اشتغال

فيوسوس اليه بالمرأة، ويوسوس الى المرأة بالرجل.

ويضعف الإنسان ويسلس قياده للشيطان، ويكون ما كان.

ويأتي الشيطان الى ابن آدم، ويعلم منه ضعفه أمام إغراء المادة، وعدم صبره عن حب المال

فيوسوس اليه أن قم إلى المال واجمعه، فهو سبيلك إلى السعادة، والعلو، والخلود.

ويضعف الانسان ويسرع إلى المال، ويجمعه مما هب ودب. ويكون منه جرائم وجرائم.

ويأتي الشيطان إلى الانسان في شيخوخته. ويخرفه من الموت. ويزين له الاستمتاع بحياته قبل أن يمضي.

ويضعف الشيخ. ويكون منه استسلام تام. ويأتي بالعجائب للاستمتاع بالحسان!.

وهكذا..: متعاون الرفيقان. الشيطان وضعف الانسان. على نفخ الغرور في الانسان..

يقول له الشيطان: من قال أنك ضعيف؟.

أنت عظيم، أنت أعظم إنسان. أنت أعظم مخلوق!.

ويصدق المسكين مقال الشيطان. ويحوله في باطنه إلى عقيدة راسخة:

ويوجد من الناس من يعتقدون هذا. ويفلسفونه، ويقولون: الأنسان مركز الكائنات. وسيد المخلوقات:..

بل وجد من يزعم أن الانسان هو اله هذه الأرض. واله كل شيء ولا إله هناك!!.

وينفخ الشيطان فى الانسان ، ويناديه من ماضيه . ويناديه من مستقبله ، والانسان يصدق ما يقول ، وينخدع بما يوسوس ! .

وقديماً خدع آدم من ضعفه حين قال له « هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ؟ » .

وصدق آدم وصدقت حواء . وكان ما كان .

وما زال الملعون دائباً على التغرير بأبنائها ، ليشفى غله . ويذهب غيظه :

« فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم » .

هذا هو الغرور . . هذا هو الوهم الذى يعيش فيه الانسان : بجنسيه ، هو الداء ، وأشد الأمراض فتكا بنفس الانسان :

فالمغرور : لا يصدق أنه سيموت فتراه يفعل فعل الخالدين :

والمغرور لا يصدق أنه سيبعث ويحاسب على عمله ، فتراه يتصرف تصرف الجبابرة ، الذين لا يخافون عقباها :

والمغرور لا يصدق أنه لا شىء ، فتراه ينظر إلى الناس على أنهم لا شىء وأنه هو وحده الشىء .

المغرور لا يصدق أنه جاهل ، فيفلسف الاشياء حسبما يتصور ، ويرى الناس جهالا ! .

والمغرور لا يصدق أن له إلهاً فوقه . قد خلقه ، وسوف يحاسبه على أعماله فتراه يتصرف على أنه هو السلطة العليا فى الأمور ! .

وها هو الله ينبه الإنسان إلى خطر الغرور على كيانه كله ، فيقول : يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم ؟ ، الذى خلقك فسواك فعدلك ؟ فى أى صورة ما شاء ركبك ؟ .

إنه الشيطان يارب ، . الشيطان الذى غرنا بك ! ؟

نفسيات يحللها القرآن

للدكتور ابراهيم سلامة

ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه ، خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين . يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ، ذلك هو الضلال البعيد . يدعو لمن ضره أقرب من نفعه ، لبئس المولى ولبئس العشير » .(١)

يقول العلماء فى أسباب النزول ماروى عن «ابن عباس» رضى الله عنهما أنه قال : كان الرجل يقدم المدينة فيسلم ، فان ولدت امرأته غلاما ، ونتجت خيله ، قال هذا دين صالح ! وإن لم تلد امرأته غلاما ولم تنتج خيله ، قال : هذا دين سوء !

وروى عن ابن مسعود فى أسباب نزول هذه الآيات أيضا أنه قال : أسلم رجل من الناس فبعد إسلامه ذهب بصره وماله وولده ، فتشاءم بالإسلام وقال ، لم أصب من دينى هذا خيرا ذهب بصرى ومالى ! ومات ولدى ! فنزلت هذه الآيات المدنية .

ومجمل المعنى فى هذه الآيات : أن هناك أناسا قلقة نفوسهم ، مضطربة عقائدهم ، لأنها ليست خالصة لله ، ولا متجهة إلى سبيله ، يعبدون الله على

---

(١) من سورة الحج آية ١١ ، ١٢ ، ١٣

حرف ، أى فى شك وارتياب ، وفى غير ثبات أو طمأنينة ، فكأن صاحب هذا القلق واقف على حرف جبل ، أو على شفا حفرة ، لم يرسخ قلبه من الإيمان ، وإنما ابتل به شفتاه ، ولم يتوغل الإيمان فى أعماق قلبه ، وإنما لمس حافة نفسه ، مذبذب بين الايمان والجحود ، متردد بين التصديق والتكذيب ، إن أصابه خير اطمأن به وفرحت نفسه ، لأن ماله زاد ونتاجه أخصب ، وإن أصابته فتنة فى نفسه ، أو ابتلى فى ماله أو ولده ، انقلب على وجهه ، ورجع إلى سابق عهده من الكفر والضلال ، ولا هو أقام على عقيدته الأولى ، ولا هو أفاد من عقيدته الثانية ، ومآله خسران الأولى وخسران الثانية ، وخسران الدنيا وخسران الآخرة ، ذلك هو الخسران المبين ، واضح المعالم بين النتائج .

وليس ببعيد عن هذا ماقيل فى تفسير الآية ، من أن الذى يعبد الله على حرف هو الذى يصدق بلسانه لا بوجدانه ، فدينه لفظ على حرف لسانه ، لامعنى فى قلبه ، يعطيك من طرف لسانه ماتشاء من آيات بينات ، ويدلل على قوة الايمان ، بقوة العبارة ، ومتانة الحجة ، حتى إذا ابتلى فى ماله وفى ولده ابتلى فى دينه أيضا ، فتجده حائرا مضطربا بين الشك واليقين ، إذا زلت به قدمه ، لايجد متكأ من صبر أو طمأنينة . وتلك خسارة فى الدين وخسارة فى الدنيا ، لاخسارة وراءها .

وكما يقع هؤلاء فى « الخسران المبين » يقعون أيضا فى « الضلال البعيد » لأنهم لما كانوا لايلتجئون إلى الله ، وإذا التجئوا إليه كان التجاء متهالكا متخاذلا ، فهم ويلجئون إلى غير الله ، ويدعون من دونه مالا يضرهم ولاينفعهم ، وذلك دليل آخر على ضعف العقل ، بعد ضعف الايمان ، لأن الملتجىء إلى مالا يضر ولاينفع أبدا ، أو إلى مالا يضر تركه ، ولاينفع قربه ، إنسان محروم من نعمة العقل ، لايفرق بين الضار والنافع ، ولا بين الخير والشر ، ولا بين الفضيلة والرذيلة . ذلك ضلال ليس بعده ضلال ،

وتلك حيرة ليس وراءها حيرة ، ذلك ضلال بعيد يتوغل بصاحبه فى شتى الاضطرابات ، كما تتوغل بالسارى الصحراء المهلكة فى الليلة المظلمة ، لتقوده إلى حتفه وهلاكه .

يحلل القرآن فى هذه الآيات نفسية أخرى ، هى الذين يلتجئون إلى الناس ، وإلى الذين يحسبون أنفسهم فى عداد العقلاء ، يوازنون بين الخير والشر ، وبين النافع والضار فيلتجىء الرجل إلى الرجل ، يظن أنه صاده ، وينسى الالتجاء الى الله فى سبيل الالتجاء الى الناس ، اذا تبين له خطأ فهمه وسوء تقديره ، وجد أن ضر هؤلاء أقرب من نفعهم ، وأن من اتخذه مولى من دون الله ، كان بئس المولى ، ومن اتخذه نصيرا وعشيرا ، كان بئس النصير وبئس العشير .

تلك نفسيات ثلاث يحللها القرآن :

الأولى : نفيسة طائشة متذبذبة ، لا ترضى ، إلا بالخير ، ولا ترى من الحياة إلا وجهها الباسم المقبول ، فاذا تنكرت — وهى لابد راجعة إلى طبيعتها من التنكر والتقلب — أنكر نفسه ، لا يطمئن إلى ابتلاء الله واختباره ، ويرضى عن دنياه إذا تقلبت به ، ويكرم دنياه فى سبيل إهانة فكرته وعقيدته ، فلا يدرك دينا ، ولا يفرك دنيا :

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولاما نرقع

وكم من أناس يتنقلون بمبادئهم وبافكارهم بين الصفوف يساومون فى المبادئ والعقائد ، فاذا أصابوا فى الصف الجديد خيرا طمأنوا ، وإن لم يصيبوا انقلبوا ، فلا يبقون على فكرة ، ولا يحتفظون بكرامة .

الثانية : نفسية جاهلة ، يلجأ أصحابها إلى الخرافات والأوهام ، وتعيش على التفاؤل والتشاؤم ، فيدعون مالا ينفع ، ويخافون مالا يضر ، أو يدعون ما يعتقدون فيه النفع ، وهو أقرب ما يكون إلى الضر ، ومثل هذه النفوس

الجاهلة تعطل فى صاحبها العقل والارادة وملكة التقدير الصحيح ، وتذهب بصاحبها إلى أبعد مايكون فى الهلاك والضلال .

والثالثة : نفسية من يتكلون على غيرهم من الناس ، معتمدين فى كل تصرفاتهم على الوساطة والمحسوبية ، وجاه فلان وجاه فلان ، ومثل هؤلاء يتوسلون بمختلف الوسائل ، ويحقرون من إنسانيتهم أمام أنفسهم ، وأمام من يتوجهون إليهم ، ويتجهون فى الحياة اعتمادا على جاههم ، حتى إذا نسوا الله ، بصرهم بأن من يتكلون عليه لايملك لهم ضرا ولا نفعا ؛ بل كثيرا مايكون ضره أقرب من نفعه !

وأخيرا يشبه الله أمثال هؤلاء الذين ينتصرون بغير الله ، بمن يريد أن يصعد إلى السماء ، فيمد اليها الحبل ، ثم يعد فيه حتى ينقطع به الحبل ، ولاتنفعه الحيل التى اصطنعها ، فيموت غيظا وكمدا من أن محاولاته مخفقة ، واستعانته بغير الله ضائعة ، وكيده للناس مستعينا بالجاه والزلفى لأرباب الجاه ذاهب أيضا ، وصدق الذى يقول « من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ » (١)

---

(١) سورة الحج ، آية ١٥ .

الإسلام والحياة

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

لا يمكن أن يكون الدين شيئا إلا اذا تأثر به أصحابه ، وتأثرت به حياتهم التي يحيونها ، وكانت حياتهم تلك ثمرة من ثمرات الدين ووحيا من وحيه .

فليس الدين حلية يتزين بها ، وتعرض في معرض المباهاة والفخر !

وليس الدين مجموعة من المراسيم والتعاليم يظهر بها المتدينون ويؤدونها في أوقات محددة ومواسم معلومة .

إنما الدين في صميمه مبادىء موجهة ، وتعاليم خلاقة ، وأحكام ملزمة تعيش في ضمير الإنسان وتستقر في كيانه وتسيطر على اتجاهات تفكيره ومنازع رأيه ؛ فلا يصدر في قول أو عمل الا عنها وفي حراسة منها .

ان هذه المبادىء ، وتلك الأحكام والتعاليم التي يشرحها الدين لأتباعه انما هي لون من ألوان المعرفة ، وضرب من ضروب الثقافة ولن تصبح هذه المعارف دينا الا اذا اتصلت بالعقل ، وخالطت الشعور وامتزجت بالوجدان ، وحينئذ تصبح قوة عامله مؤثره في الجهاز التفكيري للانسان ، وفي اتجاه ميوله وعواطفه . ومن ثم يكون الدين قوة من قوى التوجيه الى الغايات التي يحددها ويشير اليها . . وبهذا تكون أوامره ونواهيه قوى عاملة في الحياة ونوازع دافعة للخير والاصلاح .

فالدين عقيدة في الضمير ، وأسلوب في الحياة . ومنهج في العمل . فاذا لم يكن

كذلك لم يكن دينا ، وإنما يكون شيئا أشبه بالمعلومات العامة التى يرددها بعض المعاهد دون أن يفقهوا لها معنى أو يدخلوها فى حسابه المعارف التى يتفضلون بها فى أحيان . وإنما حسبهم منها أن يجوزوا بها الامتحان وأن يصلوا بها إلى مؤهل دراسى يضعهم بين أصحاب المؤهلات .

وكثير من المسلمين على هذه الصورة . . لا يعرف من الإسلام إلى مراسيم يؤديها . وعبارات يرددها امتثالا لأوامر الدين . دون أن يدرك شيئا مما لهذه المراسيم الدينية . ولهذه الأحكام والتعاليم من قيمة عملية فى بناء حياته وحياة المجتمع الذى يعيش فيه .

إن طبيعة الناس أن يزنوا الأشياء بميزان النفع الذى يعود عليهم منها . وبقدر ما يكون فى الشىء (سواء أكان فكرة أم مادة) من نفع بقدر ما يكون حرصهم عليه وتلفتهم نحوه . وتعرفهم على كل صغيرة وكبيرة فيه .

وإذا كان الأمر كذلك فان من حق ديننا علينا ومن حق دنيانا أيضا أن ننظر فيما فى الاسلام من حقائق . وما شرع من مناهج وأن نخرج بهذه الحقائق وتلك المناهج عن المجال النظرى الذى ظلت تدور فيه قرونا طويلة حتى أنهكها هذا الدوران وأجهدها - نخرج بها إلى واقع الحياة ومجال التجربة لنرى قيمتها فى البناء ، وأثرها فى النجاح الذى هو رغبة الناس وطلبة الجماعات والأفراد .

فهذا الاختبار العلمى لحقائق الإسلام وتعاليمه هو الذى يكشف لنا عن قوة هذا الدين . وهو الذى يدفع عن كثير من العقول ما علق بها من دعاوى باطلة وتهم ظالمة زعزعت مكان الدين فى القلوب : ونزلت بمنزلته فى النفوس .

إن بين ديننا ودنيانا صلة وثيقة وأمادا واسعة . . فنحن نعيش فى دنيانا بغير دين . هو نقيم ديننا بغير دنيا . . وبعبارة أخرى نستطيع أن نقول ان لنا حياتين، حياة دينية لها تفكيرها ولها عواطفها ومشاعرها وحياة أخرى دنيوية لها عواطفها عواطفها ومشاعرها أيضا ،

فالمسلم الذى لا يعرف حقيقة الاسلام ، وكثير مما ذلك الرجل ، يجعل فى نفسه

للدين حسابا خالصا من كل ما يعالج فى حياته من أعمال وشئون : كما يجعل للدنيا حسابا خاصا خالصا من كل ما فى دينه من خلائق وتعاليم .

ويؤدى المسلم الصلاة لأنها شيء من دينه ولا يكاد يلتفت إلى ما لها من أثر فى حياته ، ولو التفت إلى شيء من ذلك لغدا إلى المسجد وفى حسابه أنه سيلتقى بمجتمع يضم ألوانا مختلفة من الناس ، وأن فى هذا فرصة طيبة يستطيع أن يتعرف فيها على بعض الناس وأن يوثق صلته بهم ، وأن يتبادل النفع العقلى والمادى معهم . ثم لكان فى حسابه أيضا أنه بهذه الصلاة سيطهر نفسه من آثام ارتكبها وذنوب اقترفها . وتلك فرصة يحاسب فيها نفسه عما كان منه من زلات وسقطات فى حق نفسه أو حق مجتمعه . . ذلك فضلا عن أنه أطاع ربه وامتثل ما أمر الله به .

تلك هى الصلاة أو بعض الصلاة فى شريعة الإسلام (وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) انها ليست ركوعا وسجودا وحسب ؛ وانما هى تزكية نفس : وتطهير قلب ، وتنقية ضمير .

ويصوم المسلم رمضان على أنه أمر من الله وجبت طاعته وحق امتثاله ونعم . . ولكنه لو أراد أن ينتفع بدينه فى مجال الحياة لعرف أن الصوم معركة ، تجربة على لقاء الشدائد واجتياز الأزمات ، وما أكثر ما فى الحياة من شدائد وما أكثر ما يلقى المرء فيها من أزمات . فالصوم من هذه الناحية إعداد لمواجهة الخطر قبل وقوعه ، واستحسان قبل أن تجيء ساعة الامتحان .

هذا هو الصوم أو بعض الصوم ، ليس جوعا وعطشا وإنما هو جمال خلق واستقامة سلوك . . ومن لم يدع قول الزور والجهالة فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه .

كل ما نعيد نا به الدين يجب أن ننتفع به فى الدنيا ، وأن تظهر آثاره العلمية فى حياتنا وإلا كان الدين شيئا ثقيلا لا تخف النفس إلى أدائه ، ولا تنشط إلى الاستجابة له ، ثم يصبح مع الأيام . . لاشيء ! وحينئذ يتصرف المرء فى شئون دنياه بمعزل عن الدين . . فلا يتمثل له الدين إن أحس به - إلا فى صورة باهتة هزيلة تتراقص كما تتراقص الخيالات والأوهام .

ولو عرف المسلم حقيقة دينه لرفع هذه الحواجز القائمة فى نفسه بين دينه ودنياه ، ولجعل من الدين قوة تمنحه القدرة والاحتمال فى معركة الحياة !

وفى الاسلام منافذ كثيرة ينفذ منها الدين إلى الدنيا . . فمثلا العمل فى نظر الإسلام عبادة والسعى فى طلب الرزق عبادة!

فانظر إذا أقبل الإنسان على عمله فى تجارة أو صناعة أو زراعة أو وظيفة من وظائف الدولة ، ومىء جنبية يقين بأنه وهو يؤدى هذا العمل انما هو فى عبادة الله ، عبادة دائمة لا تنقطع مادام قائما فى عمله - انظر كيف يجد الانسان بهذا الاحساس لذة فى العمل ونشاطا مضاعفا لا يجد أبدا أو لئك الذين يؤدون العمل على أنه عمل رخيص ، ولا يشعر به أبدا أولئك الذين يؤدون أعمالهم لحساب غيرهم نظير أجر يتناولونه . . إنهم يعملون مكرهين ، ويتحركون مسخرين . . لا يحسنون عملا ، ولا يعنيهم أن يحسنوا عملا .

فى زمهرير الشتاء وتحت وابل المطر أو فى لفح الهجير ووقدة الشمس لا ينقطع الناس عن العمل ، وانما يهرعون اليه بدافع الحياة ومطالب الحياة ، ولكن ما أكثر ما يفيض فى نفوسهم فى تلك الحال من مرارة . وما يجرى على ألسنتهم من همسات السخط والتبرم بالحياة الجافة الكادحة . . ومالهم لم يكونوا من الأغنياء الذين لا يركبون هذه المراكب الخشنة فى سبيل لقمة العيش ؟

افتظن أن هؤلاء المتسخطين المتكرهين يعطون العمل حقه ؟ ثم أتراهم يجدون للحياة طعما وللطمأنينة والاستقرار سبيلا ؟ . . كلا ثم كلا . .

إن الذى يهون من هذا كله ، ويحيل عسره يسرا وشدته لينا وقسوته رحمة هو هذا الشعور الذى يجده المسلم الفاقه لدينه . وهو إنما يعمل ليعيش وليعيش من معه . وأنه فى ميدانه هذا ليس دون المجاهد فى سبيل الله ان هذا الشعور هو الذى يضاعف فى نفسه ثمرات العمل التى يجنيها من عمله والتى لا تقف عندما ينال فى هذه الحياة . بل ان له أجراً مدخرا عند الله .

هذه نافذة واحدة من نوافذ كثيرة يمكن أن نصل بها الدين بالدنيا ، فإذا الدين معنى . وإذا الحياة طعم ، والعمل أكثر من ثمرة .

ان مذاهبنا في الحياة مبعثرة مضطربة لأننا نعيش وفي أنفسنا تيار أن منفصلان تيار للدين . وتيار للدنيا : تياران متدافعان . كل منهما يريد أن يحل الآخر عن مكانه . . وأحسن المسلمين حالا من يستطيع أن يضبط الحواجز التي تفصل دينه عن دنياه . فيجري كل تيار في سبيله : أما هذا الذي يستطيع أن يزاوج في نفسه بين الدين والدنيا ويقيم منهما معاقرة دائمة فذلك من النادر القليل .

والاسلام في حقيقته لا يعرف فواصل ولا يعترف بحواجز تقوم بين الدين والدنيا فكل ما في الاسلام من تعاليم وأحكام وكل ما تضمن من الأوامر والنواهي إنما هي دستور الحياة التي نحياها على هذه الأرض وانما هي منهج العمل والبناء لما ينبغي أن نعمل ونبني .

وقد لا يرضى بعض المسلمين عن هذا الرأي . ولا يرون في مبادىء الاسلام وفي تعاليمه الدستور الكامل . والمنهج القويم لبناء حياتهم ولاساء قواعد المجتمع الذي يعيشون فيه على الوجه الذي يقتضيه العصر . وتقوم عليه دعائم الأمم القوية الراقية .

وأنا لا أظلم هؤلاء الناس . ولا أقول انهم أعداء الأسلام ولادعاة الحاد ، وإنما أقول انهم لم يدرسوا الأسلام . ولم يتعرفوا على حقيقته ، وإنما يرددون ما يراه بعض المفكرين وأصحاب الآراء والمذاهب من الأوربيين كالأمريكيين في الدين بوجه عام .

وإذ كنت لا أريد أن أظلم هؤلاء المتجنين على الإسلام فان من الإنصاف للاسلام أن ندعو هؤلاء المتنكرين له والمنكرين عليه صلاحيته للحياة ، أن يحصروا طائفة من تعاليم الإسلام وأحكامه كما نزل بها القرآن أو جاءت بها السنة دون أن يلتفتوا إلى ما دخل على هذه التعاليم والاحكام من تعليقات وشروح . ثم ليضعوا كل حكم وكل حقيقة موضع الاختبار العملي في الحياة . وليحاولوا أن يقارنوا بينها وبين غيرها من المبادى القائمة في الحياة الأمم الراقية اليوم ، فان وجدوا (بعد البحث النزيه والنظر الدقيق) أنها ليست أحكم ما يمكن أن يصل إليه البشر . فلهم بعد هذا أن يؤمنوا به . أو لا يؤمنوا .

الـمـديـن والحيـاة

الاستاذ حامد الزهرى

لقد أصبح من المعروف والثابت فى الاذهان أن الدين أمر شخصى ولا صلة له بأمور الجماعة أو توجيه المجتمع من حيث هو جماعة تحتاج الى خطوط عامة تسير على هداها وتتمسك بمحتواها . ولكل فرد أن يتصور الدين كما لقنه أبوه وألفت بنشته إذ أن الامر لا يعدوا أن يكون قصة الإنسان الاول وما جرى له من تصورات وأوهام تحاه الوجود المزمجر من حوله برعوده وبروقه . وعامل الزمن قد أزال كثيرا من الحواشى وأبقت السنون ما نستمسك به الآن . وإذا نحن أنصفنا الواقع لوأينا أكثر الأتباع وأكبر جمع من الناس . انما يتبع البوذيه وهى من الاحصاءات أكثر الديانات السائدة أتباعا ، رغم ما بها من اشياء تدعو الى الدهشة والعجب .

وعلى ضوء هذه اللمحات السريعة يمكن أن نلاحظ أثر التربيه ومدى فعاليتها فى الابقاء على العادات ومنها الدين وعلى الباطل والانحراف التى فيها جعل الدين امرا شخصيا وبقية من سخافات البائدين . وكذلك نجح دعاة المذاهب ورسل الدعوات .

واذا تجردنا من العاطفة برهة وتعمقنا ما أثارته هذه الافكار الضارة .

من تساؤل وحيرة . . . أصحيح لبس الدين الا ضميرا فرديا يتعامل به الانسان مع أحلامه فى تصوراته بالنسبة لمستقبل الحياة ؟ وهل صنعت عقول الأجداد والقرود المنفرضة هذا المزيج من الاعتقادات؟ وهل يمكن إذا تصورنا مولودا بكرا لم تمر به عادات ولا تقاليد ووضع فى خلاء يأكل ويشرب هل أسطورة (حى بن يقظان) يمكن الإيمان بصدق وصحة مدلولها ؟ ، وإذا صح أن الأمر لا يعدو أن يكون ذاتيا فرديا كما هو واقع اليوم فى الشعوب الدينية فى مدى الصدق والحجة القوية الملزمة على أن الدين حقيقة وجودية أولا . ثم تنظيم اجتماعى ثانيا . ثم ربط وإحكام لصلة الإنسان بالوجود العام من حوله وما بعد ما حوله زمانا ومكانا ووجودا وبقاء وإمدادا واستعدادا .

وكان صديقى الدكتور يلقى ويتساءل ويقول ويتحدث كأنه فى معركة حامية بين ذاته ومفهوماته ، وهنا كما تعود وفى هذا المكان لم أر منه دائما غير الصدق فى النية والوصول إلى الحق ، ولقد عودنى كما عودته الصراحة فى حزم : والإنسياب فى رفق فقلت له نعم ياصديقى ، وأحب أن تسترجع بعض ما قلناه فى أن الدين غريزة إنسانية ونزعة وجودية ونزوع بشرى يندفع إليه الإنسان من قوة للباطن الذاتى . وجذب النبع الوجودى الأول الكامل ، وقد يعبر عن هذه الحالة ، بأن الله أصل الوجود وممسكه ومدبره والإنسان لمحة من هذا الوجود العظيم ظهر فى أفق الأشياء وتلثم ببراقع المادة وأسفار الارض وما حولها وما فيها . ويندفع العود إلى الصعود بينما يتغذى من الارض وكما يرتفع الساق لينعم الزهر بالنور . وكما ينجذب الحديد بالمغناطيس مثل ذلك يكون الوجود الانسانى بالنسبة للألوهية . وقد يظل النبات أرضيا ، والحديد مغمورا فى التراب ، ولكن رغم ذلك لا يخلو من الاعتماد

علمتني الحياة

لدكتور أحمد زكي

الاما أكثر ما علمتني الحياة . .

ومما علمتنيه الحياة ، أن التربية الاولى هي الأصل الأول من أصول النجاح في الحياة . وأن مرجع هذا إلى الوالدين ، وإلى البيت ، والى البيئة . وأن التربية الواسعة العريضة ، حتى مع الضحالة ، خير من التربية الضيقة العميقة . وأن العميم في أول الأمر خير من التخصيص . ذلك لأن الرجل منا لايدري ما يأتي به الغد . . اذن لأعد له ، واعد له وحده

فكل احتمالات الغد يجب أن تكون نصب عين المربي . والأب أول مربٍ ، وكذلك الأم . ولو انني ملكت من أمر تربيتي في صغري ما أملك الان ، اذن لتعلمت الرياضة والسباحة والرماية وركوب الخيل ، واذن لتعلمت الرسم والنحت والموسيقى والغناء ، وكل ماوقع في طريقي من صور الفن . واذن لتعلمت اللغات من انجليزية وفرنسية والمانية وايطالية . . ذلك والعمر غض ، ومادة المخ مرنة تلتقط بأيسر جهد . واذن واذن . . .

هذا إلى جانب ما تعلمني المدارس ، فاذا كبرت اتسع اختياري للحقل الذي أعمل فيه لكثرة ماأعددت للحياة من عدة . وليس فيما أعددت ما يذهب أبدا هدرا .

ومما علمتنيه الحياة ، حاجة صاحب العيش الى الاصدقاء . . أن الذي يعيش في الناس لابد أن يعرف الناس ، وأن تعرفه مناس ، وأن يعين وأن يعان . ولقد حرصت على الأصدقاء صغيرا كل الحرص ، وحرصوا وكان الولاء ولاء قلب . . وكلما كبرت وكبر معي الاصدقاء تحول ولاء القلب الى ولاء عقيل ، وولاء حساب ، من جمع وطرح . وثقلت مطالب العيش على الصديق منهم وتزوج فتركزت همومه في داخل اسرته على الرغم ، فقل هو بالذي خرج عنها فبالاحداث

وتدهورت الصداقة فصارت مفاوضات ، فى الخير وفى الشر . . فلم يبق من خير الصديق الصادق يبذله للصديق الصادق الا النصيحة الخالصة . والنصيحة الخالصة شىء عزيز عظيم . فأنا استنصح الاصدقاء الخلصاء . . لا لا تبع ، ولكن لازداد فهما ، ولا درك كيف يرى الناس الامور من زوايا غير زاويتى ، لكون نظ اشمل ، ثم يكون الحكم آخر الامر لى ، ولى وحدى . وكثيرا ما خالفت النصحاء فحمدت العقبة .

* * *

وعلمتنى الحياة كراهة الضيق . . الضيق فى المكتب ، والضيق فى المسكن ، والضيق فى المغدى والمراح . . وكذلك ضيق عقول وضيق قلوب . آن الذى ظهر لنا من هذا الكون دنيا لها افق واسع ، والذى لم يظهر لنا منه له افق بل آفاق أوسع . وليس يناغم الحي الحياة بهذه الدنيا الا بالواسع من كل شىء . وأكره ما أكره من صنوف الضيق ، ضيق الاذهان على أى صورة فى الناس كان . . وما أكثر صورة التى يكون بها فى الناس . وهم يعبرون عنه بالتعصب الذهنى . وقد يتعصب الرجل لرأيه جزافا ، وقد يتعصب لاسرته جزافا ، وقد يتعصب لامته ، أو للونه ، أو لدينه ، أو حتى لعقيدة سياسية تقع عنده انها الصواب ، وسائر العقائد الخطأ . وهذا حمق ذهنى لم أجد وراءه حمقا . واعتداد بالغ بقدرة عقل بعد أن تبين الناس عافى العقول من قصور

اما ضيق القلوب فصفة للقلب الذى لا تدخله الرحمة من باب واسع ، الرحمة التى تسع الناس جميعا ، من كل رأى وكل جنس وكل أرض . الرحمة التى تسع المحسن وتسع المسىء ، وتدرك حقيقة الطبيعة الانسانية فى أوج علاها ، وفى اندرك من حضيضها . فتفهم كل شىء ، وتغفر كل شىء . . الرحمة التى تطول فيطاول بها الانسان رحمة الله

وعلمتنى الحياة وعلمتنى . .

أن الحياة علمتنى دروسا الفا . . هذه الثلاثة منها

على الضوء ولا يتخلى عن طبيعة الجواب إذا تعرض لذلك . تماما كالانسان اللاصق بالتراب لا يحب النور ولا يعرف الاشراق .

وإذا كان الدم والعظم والعروق والغضاريف من التراب بفعل الزرع والضرع. وإذا كانت الفنون والآداب وما إلى ذلك من التجارب وما يتمتع أمامنا من ظروف وملابسات وأقيسة ومفهومات. بفعل العقل واعمال الفكر و إذا كان الهيكل المادى وجه جامد فان الفكر والعقل هذا الوجه المشرق الشفاف . وهما ظلان لحقيقة واحدة فوق المادة وفوق الفكر فقد يحجب العقل ويصوم البدن عن الغذاء وتغمره قوة داخلية تمنحه البقاء والصفاء .

وإذا كان الانسان ليس الا مادة وعقلا وروحا . فان لكل جانب غذاءه ودواءه ولقد قطعت البشرية شوطا بعيدا من ناحية التكييف المادى لملائمة الوجود البشرى فى الزرع والضرع والماوى وما إلى غير ذلك من مادبات طبيعية وصناعية. وفى مجال الكشف العقلى والبحث الفكرى وما كشف عنه من معارف وعلوم . ومعادن وقوانين استخدمت فى شتى المجالات وعديد الحالات . وفى هذا المضمار تطورت البشرية الى مرحلة هامة فهى قد جاوزت الارض ووقفت على عتبة الفضاء بالرغم من أن مشكلتها الحقيقية التى هى النفس ومن أكون أنا. وما حولنا من أرض وما فيها من جبال وجند بيض وحمر مختلف ألوان ذلك . . . وان الفرق بين نزوعى الانسان الخير والشرير هو الذى دفعنا الى الصواريخ والالحاد والتهديد والحروب . ولو كان الخير لما بأرحنا الارض حتى تكون قد عرفنا ما فى أعماقها وبحارها وأسرارها ولتنشئنا عن طرق السلم وقتلنا الحزب واختفى الالحاد .

وأما الجانب الروحى ففى نكسة وهو فى حيرة تكتنفه الاوهام وتحجبه الضلالات ونحاول ستره نزعة الالحاد والتصوف بالمادة لكن لا يغير شذى الورد زكام الانوف المريضة كما يقولون .

ومن هذه القوى يكون وجود الفرد . ومن الافراد الكثيرين يكون المجتمع وكما يكون الفرد بحاجة إلى تنظيم قويم ينسق به الاندفاعات ومدى ما يتاح لكل

نوع وجانب من هذه الجوانب الانسانية : فالجسم وحاجته بحاجة إلى تقدير وميزان وتحديد ماينفعه وما يضره ومايصلحه ومايفسده . إننا نرسم الطريق لتعاملنا المادى للجسم والا لو تركناه ومايرغب وفى كل مجال لاصطدم بالسموم والنار ولهلك وباد دون أن يعمر الديار رغم أن التجارب قد ساعدت على نمو هذه الطرق .

والعقل ليس أقل حاجة من الجسم فى أن يكون له خطة وهدف ووسيلة وغاية. ليس خطر الانحراف العقلى بأقل من إرهاب الذريات والهيدروجينيات . ومثل ذلك الضلال الروحى والتيه القلبى والعمى البصيرى .

وكما أن العود مادته تكون وقودا وخضرته حياة ونعيما . وزهرته ثمرة ترتجى فكذلك الانسان مادته غذاء للدود وعقله رونق سيروى وثمرته الروح الصافية التى تبقى . ومن غير المشاهد والمعقول أن ينبت العود بعيدا عن الارض كما أنه من غير المشاهد والمعقول أن يوجد الانسان ويحيا ويدوم وجوده بعيدا عن الكون وبادىء . ولكن الفرق بين الانسان وغيره من الكائنات يتمثل فى مخاطبته وتعقله ووعيه . وهو من أجل ذلك قد كلف وحمل الامانة ولم يكن له أن يعيش دون ذلك .

ومن هذا وغيره نرى مدى حاجة الانسان إلى التنظيم فردا بين قواه ونوازعه وجماعة بين أفراده وقبائله وشعوبه . وعلى أن هذا التنظيم بشقيه لا يكبت غريزة أو يصادر حاجة . وبالتالى أن يكون به من سعة الصدر ورونة القول والحكم بحيث لا يقف عند حد زمانى أو مكانى. وهذا ما رأيناه واقعيا وتاريخيا بالنسبة للاسلام . فالقرآن الكريم كتاب الاسلام الخالد .

يقرر الحقوق والحاجات والطرق لاشباع الجانب المادى . فيقول . كلوا واشربوا ولا تسرفوا . . كلوا من طيبات مارزقناكم . . من حرم زينة الله التى خرج لعباده ، والطيبات من الرزق . ومن ثمرات النخيل

والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا . يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد، يا أيها الذين آمنوا كلوا مما فى الارض حلالا طيباً . إلى آخر ما هنالك من الآيات والاحاديث المذكرة بنعم الله والحاثة على تعاطيها والبحث والتنقيب عن أطيبها . وأنها إنما خلقت لنا ومن أجلنا وحتى ما بعد هذه الدار سيكون الجانب المادى له وجوده ولذائذه .

ففى الجنة لحم مما يشتهون . وفواكه كثيرة لا مقطوعه ولا ممنوعة فيها أنهار من لبن لم يتغير طعمه وفيها أنهار من عسل مصفى وفيها أنهار من خمر لذة للشاربين . فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين . ومن عجب تتوقف متعتنا هناك على عدالة الشكل أو الطريقة التى نحصل بها هنا على هذه الاشياء .

لذلك رسم الكتاب طريقة واضحة ومنهاجا قويما للكسب والانفاق والعمل والتعاطى فاذا هو رخص لنا فى اللذة والمتعة إذ الاصل فى الموجودات بالنسبة لنا الاباحة فانه قد منعنا عن أشياء فيها حتفنا أو ضرر لنا ، فاللحوم مثلا من اللذائذ المادية وهى مباحة لنا . ولكن ليست كل اللحوم ، فقد حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وكل ذى مخلب من الطير أو ناب من السباع . وما عدا ذلك من لحوم مباح وحلال ولذة ومتعة ، وحتى البحر تستخرجون منه لحما طريا وعلى ألا يكون ضرر أو ضرار أو ظلم للغير أو حيف . والفن والادب تحت عقلية رائعة . وتسبحات فكرية بارعة والاصل فى خلق العقل وانطلاق الفكر الاباحة : أيضا ولكننا لا يجب أن نتطلق إلى ما لا نهاية ولا فى كل مجال . فالخير والحق والجمال غاية سامية وهدف عظيم ينشد الانسان هذه المعانى فى الشعر والقصة والموسيقى والرسم والتصوير والنحت . أما الفحش وعدم الاكتراث بالآخرين وهجر القول وبذاءة اللسان ومرذول الغايات

والتعرض للمساوى والأعراض . والصد عن الحق والخير والجمال . كل ذلك ليس من المستقيم أن يفنى الانسان فيه طاقته أو يبدد حيويته . وما دام النور والجمال والزهر والعطر والحق والخير ، فلا مجال للظلمة والقبح . . والتخبط والتيه فى الاوحال والأعراض . ان الإسلام لا يرضى بالحرمان المادى أبداً وهل أتاك نبأ بعض الصحابة الذى اعتزل الحياة وهجر امرأته اذ قال له الرسول عندما علم بأمره . كل وصم وقم ونم الخ وفى حديث آخر إن لبدنك عليك حقاً ولزوجك عليك حقاً ، ولا يؤمن بالجفاف العقلى أو الانحطاط الفنى . فأول ما خلق الله العقل وأفضل ما خلق الله العقل به يعطى وبه يثيب . وقد كان الرسول عليه السلام يسمع الشعر ويحب مجيديه وليست قصة شعر لبيد بغائبة عن القارى التى قال عنها الرسول كاد لبيد أن يسلم أو كما قال عليه السلام وبانت سعاد . وحسان بين ثابت الخ لذلك كان من الطبيعى ان يمرح الفكر فى ربوع العالم الإسلامى وتتجلى مظاهر النشاط العقلى فيما ترك فلاسفة المسلمين وعلماء الفلك والكيمياء والطبيعة من آثار وعلوم ومعارف .

كانت نوارا وضوءا أيقظ أوربا وأشاع العلوم وكلهم من بيكون إلى دانتى ومن ريشيليو إلى غاليليو بين تلميذ لجامعات الأندلس أو كتب ابن رشد وابن البيطار أو الرازى وابن الهيثم الخ إننا لا نعدو الصواب إذا كنا ننادى بإعادة النظر فى مفهوماتنا عن الدين أولا والعمل على إشراب تنظيماتنا إياه والدعوة إليه فى حرارة وإخلاص ذلك لأنه الحق وفيه الخير والسعادة . ذلك لأننا نحب الإنسان ونتمنى له الأمن والرفاهية والسلام .

حامد محمود الزفرى

التصوف والتفكير

التصوف نزع للانسان من الحياة المادية الفانية إلى حياة روحانية مشرقة تسمو بالروح . وترفع الانسان عن درك الحيوانية . والشهوات الدنيوية ، ولقد كان المتصوفة رضى الله عنهم ينعزلون ردحا من حياتهم عن الناس لعبادة الله والتفكر في ملكوته تعالى . . . كانوا يفكرون التفكير العميق . فيما خلق الله وصور وأوجد ، فبالتفكير يستطيع المرء أن يدرك عظمه خالقه . ودقة صنعه فالصانع تعرف قيمته بما صنع والله الصانع تعلم قدرته ودقته في الصنع . . بماصنع من هاته العوالم السابحة في الفضاء الشاسع . من شموس ونجوم وأراض وغيره الك . من هاته الظواهر الكونية البديعة .

هكذا نظر المتصوفة إلى ملك الله . فعرفوه . والمعرفة أقصى درجات العبادة فكان إيمانهم ايمانا راسخا . لم يزعزعه شيء ، ولا عصفت به أفكار ولا أهواء ، لأنه ليس تقليدا لآباء ولا لمجتمع . بل هو خارج من أعماق الوجدان .

ولقد أيقنوا أن التفكير فيما خلق الله من الكائنات في كيفية صنعها ، وتكوينها وتقديرها . وما لها من منافع وآثار ، ودقة يقف المرء أمامها عاجزا — يؤدي إلى تكيف الفهم ، فيعتر الشخص على إيمان يطمئن به القلب وينشرح له الصدر . . ايمان صدر بعد أن صرف كل

إدراكه وجوارحه وفكره فى آثار الخالق .. صرف ملأ القلب والوجدان والسمع والبصر، فاستولى عليه الجمال جمال الكون الذى أبدعه الخالق وصوره أحسن تصوير وابدعه . إنه مجال صنع الخالق . . صنع الله الذى أتقن كل شىء .

هكذا نظر المتصوفه إلى ملك الله . . فانشرح صدرهم ، وفازوا بالهداية ورشفوا من معين الايمان الخالص ، فخضعوا ، خضوعا لمن خلق تلك العوالم ، فكان خضوعهم . خضوعا نظريا قلبيا ، فرددوا : ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ربنا إنك من تدخل النار فقد اخزيته . وما للظالمين من أنصار ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للايمان إن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد .

فعند ذاك شهد والله تعالى بالعلم . . العلم الكامل بكل شىء . . بكل ما يلج فى الأرض ، وما يخرج منها . وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، دبيب النملة وسقوط الورقة ، ولا ادنى من ذلك ولا أكثر إلا وهو تعالى يعلمه ، قدر له وقته وميعاده وكيفيته . . سبحانه سبحانه .

وشهدوا لله تعالى بالحكمة العالية . فقد خلق كل شىء وقدره تقديرا . خلق الانسان وقدر عليه الموت ، ليبلوه ويختبره ، وخلق الأرض وجعلها له مسكناً ، فمنها خلقه ، وإليها يعود . فرأوا أن الله قبلة لكل التقديرات .

وتعمق الإيمان فى نفوسهم . فشهدوا بأن الله هو القاهر المتجبر ، يفعل فى ملكه ما شاء دون منازع أو معين ، فيعبدوه وحده ويستعينوا به وحده ، هو المستحق لكل شكر وعبادة وسجود ، وهو تعالى أكرم

من يطلب فيعطى العطاء الجزيل ، ويرحم الرحمه الواسعة ، فاتجهوا إلى الله بكل الطاعة الصادرة من القلب ، وذكروا الله فى كل حال قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم .

حصل لهم كل هذا بصرف الفكر فيما أبدع الله ، فشفت روحهم ، وتفتحت لتلقى آيات الله المنبثة فى أنحاء الوجود ، فرأوا لله صفات تفرد بها ، وملكا تفرد بتدبيره وإحكامه وبذلك تفتحت لهم ابواب السعاده والخير وأغلقت دونهم أبواب الشرور والاثام لأنهم أدركوا حقيقه مائلة فعرفوها حق المعرفة .

وعند ما كانت تعزب عن فكرهم حقائق لا يستطيعون إدراكها ومعرفة كنهها ، يكون سبيلهم الوحيد لإدراكها هو كلام الخالق وعرفوا أن البشر لا سبيل لهم لمكالمة الخالق لأن المكالمة والمخاطبه تقضى بالمماثلة والمجانسة ، إنما كلام الخالق يأتى بواسطة الوحى: « ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء إنه على حكيم » . فتوجهوا إلى كلام الخالق فنظروا وامعنوا فيه النظر فظهرت الحقائق جلية واضحة بعد أن كانت عميقة عن فكرهم بعيدة .

إنه الإيمان بكتاب الله تعالى يصنع المعجزات : يهدى للتفكر فلا يدعوك القرآن لأن تؤمن بالله تقليداً ، ودون ابداء رأى . . كلا فهو يدعوك لأن تفكر التفكير الصحيح فيما هو موجود فى هذه العوالم المتحركة المنظمة ، السائرة على منهج قويم دقيق . . نظروا هكذا فى كتاب الله ، فتيقنوا أن لابد للمصنوعات من صانع ، وللمتحركات من محرك أو كما قال الأعرابى : « السير يدل على المسير ، وهذه سماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج أو لا يدل هذا على اللطيف الخبير » .

هكذا كان إيمانهم نابعا عن المشاهدة الدقيقة ، والتفكير العميق .

فآمنوا بالصانع وهذا الصانع تجمعت فيه كل صفات الكمال ، وإنه أهل لأن تعبده ، ونسجد له ونخضع لجلاله وحده ، وإنه أهل لأن يفرض علينا ما يشاء من فضائل :

هكذا نبع فى قلوبهم الايمان ، فكان إيمانهم واضحا ثابتا وتيقنوا أن الايمان الذى لا يبنى على تفكير ليس بايمان ، ومن كان إيمانه مبنياً على تفكير فذاك هو الايمان الصحيح الايمان الذى يوصل صاحبه إلى السعادة فى الحياتين .

وهكذا عاشوا لله ، . واستشهدوا فى سبيله . وسرت بذكرهم الركبان .. على مر الزمان ، فرضى الله عنهم أناروا لنا السبيل لنقتدى وسهلوا لنا الطريق لنمر .. رضى الله عنهم ، وسلام عليهم فى الخالدين .

اسماعيل الخطيب

تقدير الثورة

للامام الأستاذ الشيخ عبد الباقى سرور نعيم

قرر مجلس محافظة البحيرة تسمية مدرستى قراقص الاعداديتين للبنين والبنات بمركز دمنهور إباسم فقيد الاسلام فضيلة الاستاذ الامام الشيخ عبد الباقى سرور نعيم تقديراً لجهاده واجلالا لعلمه وفضله .

وأسرة الفقيد الكبير تتقدم بخالص الشكر للسيد الاستاذ وجيه أباظة محافظ البحيرة وأعضاء مجلس المحافظة جميعا على هذه اللفتة الكريمة فى إحياء ذكرى المجاهدين الاطهار ، إحياء للقيم الرفيعة والمثل العالية المضيئة .

خطبـــة منـــبرية

انما الأعمال بالنيـات

للاستـاذ محمـد على الطعمى

الحمد لله يعلم ما نخفى وما نعلن ، وما يخفى على الله من شىء فى الأرض ولا فى السماء ، أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له يحب من عباده المخلصين الأتقياء ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، دعا إلى إصلاح البواطن والظواهر . صلوات الله وتسليماته عليه وعلى آله وأصحابه الذين أخلصوا السرائر ، ففازوا بجنات تجرى من تحتها الأنهار .

أيها المسلمون : تعلمون أن النية الحسنة فى تأدية الطاعات لها قيمة عظيمة ، وثمره كبيرة . يتوقف عليها الثواب والعقاب - حتى ذهب بعض الفقهاء إلى أن النية فرض فى جميع العبادات . ذلك لأنها نقطه انطلاق تعبر عن سلامة القلب ، ونقاء الضمير وصحة الإيمان ، فقد يصلى المصلى المسلم صلاة جوفاء ، يقصد بها لفت الأنظار وتغطية الآثام « يراؤون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا » وقد يعظ العالم ليقال عنه بحر العلوم وأسطول البيان « أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون وقد يتصدق غنى بقصد الفخر والسمعة وذيوع الصيت « الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس » ..

وهذه صور كلها تبطل الطاعات وتدمر القربات ، وتجعل العمل من غير ثواب .لذلك جعل الله النية الصالحة أساس الأعمال وعليها يتوقف جزاء الأفعال ، إن خيرا فخير وإن شرا فشر .

يا أخى فى الاسلام : آمن أبو قيس بالله وصدق برسوله ، ثم أراد الزواج بامرأة فاشترطت عليه أن يكون الزواج بالمدينة ، ليباشر أرضها ويحرس نخيلها ، فقبل الهجرة على هذا الوضع وذهب إلى النبي عليه السلام وقال يا رسول الله إنى مهاجر إلى المدينة طمعا فى ثواب الله ، فنظر إليه النبي عليه السلام ، وقال يا أبا قيس ، إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه .

فانظر يا عبد الله كيف نفذ الرسول إلى أغوار قلبه ، ووضح خفايا نيته ، وبين له أن الهجرة ليست سعيا على الأقدام ورحلة فى الصحراء ، ليصل كل من هاجر من مكة إلى المدينة ولو من أجل امرأة وتخيل ، وإنما الهجرة تكون خالصة لله ، وأمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين ، والرسول بهذا التوجيه السديد يعطى درسا لذوى الأخلاق الفاسدة والنوايا المهزوزة والخفايا التى تتحكم فيها المصالح والأغراض ،

يا قوم : إن الاسلام يربط بين المسلمين برباط النيات السليمة ، لتقوم الأعمال على أسس متينة ، ودعائم مركزه ، بحيث لا يداهن الصديق الصديق - ولا يتملق الفقير الغنى ، ولا يغش التاجر الزبون ، ولا يبغض مسلم مسلما - وبهذا تقوى الأواصر ، وتزداد الروابط وتعم المحبة بين الجميع ،

يذهب بعض المسلمين إلى الحج كل عام - وبعضهم حج سبع مرات ، ولو سألته أن يعطيك قرشا لإعانه مسكين ، أو جنيها لبناء مسجد - أو عشرة قروش لمعونة الشتاء ، لدس يده فى جيبه كأنها مشلولة « الذين هم يراؤن ويمنعون الماعون » .

هذا والنية دخل كبير فى بناء الوطن وحبه والتضحية فى سبيله بالمال

والرجال ، بحيث لا يمالىء المسلم مستعمرا ، ولا يعيد أجنبيا ولا يصادق دخيلا ، وهل ضاعت فلسطين إلا بسوء النيات واختلاف الجهات من عن حشالات العرب والخونة من الملوك ، يأيها الذين آمنو لا تتخذوا عـــدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق .

ايها المؤمنون : تأملوا فى هذا الصحابى الجليل الذى ضرب أروع الأمثال فى النية الصادقة والهجرة الخالصة لله رب العالمين ، إنه رجل من بنى ليث ، مرض ولم يستطع حراكا ، فقال لقومه . أنا والله لست ممن استثنى الله ، وانى لأجد حيلة للهجرة ، ولى مال يبلغنى المدينة . أخرجونى من مكة فحملوه على سرير ، فزادت علته الحاحا ، وجاءه الموت خارج أسوار مكة فضرب بيمينه على شماله ، كهيئة المبايعة ، وقال هذه لك . وضرب مرة ثانية ، وقال هذه لرسولك أبايعك على ما بايعك عليه ، ثم فاضت روحه ، ولما بلغ خبره أصحاب المدينة ، قالو الو وصل إلى المدينة لأخذ ثواب المهاجرين فنزل قول الله تعالى ، ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ».

فالنيه الحسنة عنوان بارز على طاعة الله ، ودليل واضح على هدايته والله سبحانه يجزل العطاء لمن أخلص فيها ، ويزيده أجرا كبيرا .

الحديث :

عن أبى هريرة عبد الرحمن بن صخر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم .

رواه مسلم

أخبار صوفية

المشيخة الصوفية العامة والميثاق الوطنى

اعتمدت المشيخه العامة التعيينات الآتية :

١ - الحاج مصطفى سليمان على بدر الدين نائبا للطريقة الاحمدية المرازقة بقسمى الساحل وشبرا

٢ - الشيخ حامد حماد الخامى نائبا للطريقة الشناوية الأحمدية بمركز كفر الشيخ

٣ - الشيخ العزبى محمد أحمد الجندى نائبا للطريقة الشناوية الأحمدية بدائرة بطينه

٤ - الشيخ محمود محمد الشرى خليفة خلفاء الطريقة الشناويه الأحمدية بدائرة بطينه

مـــوالد

صرح باقامة الموالد الآتية :

اولا : مولد الأستاذ السيد اسماعيل ضيف رضى الله عنه لمدة أسبوع اعتبارا من ١٢ يوليو سنة ١٩٦٢

ثانياً : مولد الأستاذ السيد عبد الخالق الشبراوى رضى الله عنه لمدة أسبوع اعتبارا من ١٤ يوليو سنة ١٩٦٢

ثالثا : مولد الشيخ أدين الكردى لمدة ثلاثة أيام اعتبارا من ١٠ يوليو سنة ١٩٦٢

رابعاً : الشيخ يوسف العجمى لمدة يو واحد اعتبارا من ١٢ يوليو سنة ١٩٦٢

خامسا اعتماد تعيين الشيخ عبد الفتاح، عبد العزيز عزب نائبا للطريقة الأحمديه الشعيبية بمحافظة الجيزة .

سادسا اعتماد تعيين الشيخ سيد أحمد داود نائبا للطريقة الأحمـــدية الشعيبية بمندر الجيزة وضواحيها .

سابعا اعتماد تعيين الشيخ ابراهيم على الحواشى نائبا للطريقة الأحمدية الشعيبية بعموم قسم السيدة زينب .

ثامنا اعتماد تعيين الشيخ محمد أحمد حسنين نائبا للطريقة الأحمدية الشعيبية بعموم قسم شبرا مصر .

تاسعا اعتماد تعيين الشيخ محمد بيومى الحشاش نائبا للطريقه الأحمدية الشعيبية بشنواى منوفية .

عاشرا اعتماد تعيين الشيخ عطا الله سيد أحمد عبد الجواد نائبا للطريقة الأحمدية الشعيبية وبيت حسام الدين بمركز القناطر الخيرية .

نشرة دورية للسادة مشايخ الطرق الصوفية

ووكلاء المشيخة العامة

بمناسبة عرض الميثاق الوطنى على هيئات الشعب المختلفة .

بما أن الطرق الصوفية والقائمين عليها والمنضوين تحت لوائها يعدون من القوى الروحيه التى لها أثرها فى الحياة، فقد رأينا أن يجتمع وكلاء المشيخه العـــامة برجال الطرق كل فى منطقته وأن يتدارسوا الميثاق استخلاصا وتفهما لمبادئه وابداء الرأى فى هـذه المبادىء التى هى من حياتنا السياسية والاجتماعية والروحية بمثابة الاسس التى تقوم عليها حياة جمهوريتنا الفتية فى ظل الديمراطية الاشتراكيه التعاونية التى تكفل لكل مواطن حقه فى الحياة الكريمة العزيزه . وترسم له طريق الواجب عليه نحو جمهوريته وقوميته وعروبته :

وعلى كل منتسب الى طريقه وعامل فى قطاع من القطاعات العملية أن يبدى رأيه مع زملائه فى قطاعه حتى يبصر الكل بمختلف الآراء وتعرض

فيما سيعرض على لجنه تقرير الميثاق والله الموفق لما فيه السداد فى ظل قائد الثورة الموفق ورائد العروبه الرئيس جمال عبد الناصر أيده الله ورعاه فيما استرعاه ونرجو أن توافونا بنتيجة اجتماعاتكم مفصله

تحريرا فى ٩ يوليو ١٩٦٢ شيخ مشايخ الطرق الصوفية

مولد قطب الغوث

سيدى عبد الخالق الشبراوى

فى مثل هذه الأيام من كل عام يقام مولد إمام العارفين ، ومملاذ الكاملين قطب الغوث سيدى عبد الخالق عبد السلام الشبراوى رضى الله تعالى عنه ، فتتاح الفرصة للجموع الحاشدة أن يقيموا أياما على حب الله وطاعته فى جواره ينعمون بقربه . ويتعرضون لنفحات الله فى رحابه ويتزودون من مدده وبره .

ولد رضوان الله عليه سنة ١٨٨٧ فى شبرا زنجى منوفيه ، فى بيت عقدت له الزعامة الدينية ، وكان عميد هذا البيت إذ ذاك الإمام الهمام سيدى عمر جعفر الشبراوى من أكابر العلماء الأولياء ، وفى مقدمة الدعاة إلى الله فى عصره .

وفى كنف هذا الجد الكريم ، وفى رعاية لوالد العظيم أبى الأنوار سيدى عبد السلام عمر الشبراوى نشأ سيدى عبد الخالق إلا أن المقام لم يطل بهما إذ آثر الجد جوار ربه ولحق به الأب وسيدى عبد الخالق لم يبلغ السابعة من عمره .

وحفظ القرآن الكريم ثم ارتحل يطلب العلم بالأزهر الشريف ، وتتلمذ فيه على أعلام شيوخه وكان فى مقدمه الصفوف من حسن الرعاية والتكريم سواء من أساتذته أم من زملائه .

وفى سنة ١٩١٤ حصل على شهادة العالمية واشتغل بالتدريس فى الأزهر ، ثم أراد الله أن يعم نفعه فاختير إماما لمسجد الفتح بعابدين ،

يلتقى فيه بالمريدين والمحبين الذين يقصدونه ، ورفض من أجل ذلك عدة مناصب كبيره عرضت عليه .

وكان رضى الله عنه فى صلته بربه منقطع النظير ، سلك طريق القوم على يد الأعلام من تلاميذ جده العظيم ، وكان يتدرج فى معارج الكمال بأسرع ما عرف عن مريد ، وسرعان ما عقد له أشياخه لواء الإمامة للطريقة الخلوتية الشاذلية النقشبندية ، ولوه زمام الإرشاد ! ونهض بذلك من قديم ، ونفع الله به الآلاف الكبيرة ممن رحلوا إليه واجتمعوا عليه من مختلف الأقطار ، وظل هاديا ومرشدا يأخذ بيد الناس إلى الله ، ويدفعهم على طريق النجاه حتى إذا استوفى أجله لحق بالرفيق الأعلى فى الحادى عشر من اكتوبر سنة ١٩٤٧ ،

ولقد كرمه الله فى حياته فمنحه قوة النفوذ ، وجلال التقوى ، وكان علما خفاقا تهوى إليه أفئدة ، وترنوله أبصار: وتحبه قلوب ، وتسير بذكره الركبان ، كما كرمه بعد مماته فخلد ذكره ، وأبقى أثره وغدا مسجده منزل الخيرات ، ومهبط النفحات يجتمع فيه المريدون على شيخ الطريقة من بعده ، العالم الكامل سيدى مصطفى عبد الخالق الشبراوى ، يشد أزره شقيقه العالم الهمام سيدى عبد السلام عبد الخالق الشبراوى

وسيقام المولد أسبوعاً يبتدىء يوم السبت ١٢ من صفر سنة ١٣٨٢ الموافق ١٤ من يوليه سنة ١٩٦٢ بساحه مسجده بشارع صلاح سالم أمام بلوكات الأمن بالعباسية وليلته الختامية مساء الخميس ١٩ من يولية سنة ١٩٦٢ .

جزاه الله عما قدم بأفضل ما جزى به إماما من أئمة الهدى .

وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

دار الزيني للطبع والنشر
٧ سبع دريبانات عابدين
شارع الجبلاية

الجمعية التعاونية للبترول

بوتاجاز التعاون

طبوخ اليوم

بوتاجاز التعاون